الفكر الإسلامى المعاصر

إعداد

د/ محمد حسن على محمد

كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية

العام الجامعى

٢٠٢٢-٢٠٢٣م

بيانات الكتاب

الكلية : الآداب

الفرقة :الثالثة

المادة : الفكر الإسلامى المعاصر

التخصص : الدراسات الإسلامية

عدد الصفحات : ١٦٣

المؤلف :دمحمد حسن

الرموز المستخدمة

نص القراءة والدراسة

نص التفكر

المحتويات

الفصل الأول : التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر ٥- ٥٤

الفصل الثانى : من تداعيات الاحتكاك على العلوم الإسلامية ٥٥- ١٠٦

الفصل الثالث : رواد المدرسة العقلية الحديثة ١٠٧ -١٦٠

فهرس المصادر والمراجع : ١٦١-١٦٣

الفصل الأول

التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر

وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول: تعريف التجديد لغة واصطلاحًا.

المبحث الثانى: لماذا التجديد؟.

المبحث الثالث: ركائز التجديد.

المبحث الرابع: الأصول الدينية الدالة على التجديد.

المبحث الخامس: الفرق بين التجديد والابتداع، والتجديد والأصالة.

المبحث السادس: شروط المجـــدد وصفاته.

المبحث السابع : مجالات التجديد.

المبحث الثامن : الخليفة عمر بن عبد العزيز ودوره فى التجديد.

المبحث الأول

تعريف التجديد لغة واصطلاحًا

التجديد لغة: يقال تجدد الشئ صار جديداً، وجدَّ الشيء، أى صار جديدًا[١]، **وهو خلاف القديم، وجدّد فلان الأمر وأجدّه واستجده إذا أحدثه**[٢].

فالتجديد لغة: يعنى وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التى كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديدًا[٣].

أما التجديد شرعًا فهو: فهو التجديد اللغوى عينه، مضافًا إليه ما تقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد.

وقد تنوعت عبارات العلماء فى تعريف التجديد، وتعددت صيغهم لكنها لم تخرج عن محاور ثلاثة:

المحور الأول: إحياء ما انطمس، واندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس وحملهم على العمل بها وفى ذلك يقول **العلقمى:** " معنى التجديد إحياء ما

---

(١) لسان العرب – مادة جدد – ج١/٥٦٣ ، والمعجم الوسيط – ج١/١٠٩.

(٢) المصباح المنير ص (٩٢).

(٣) مفهوم تجديد الدين لسعيد بسطامى محمد ص (١٥).

اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما "[١]، ويقول **المودودى:** " المجدد: كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها، وجدد حبله بعد انتقاضه"[٢].

المحور الثانى: قمع البدع والمحدثات، وتنقية الإسلام مما علق به من أوضاع الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول -ﷺ- وصحابته، وفى ذلك يقول المناوى: " يجدد لها دينها: أى يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدع ". [٣]

المحور الثالث: تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقائع وأحداث ومعالجتها معالجة نابعة من هدى الوحي.

إذ ليس المراد بالإجتهاد والتجديد الإلغاء والتبديل وتجاوز النص، وإنما المراد الفهم القويم والجديد للنص، فهما يهدى المسلم لمعالجة مشكلاته وقضايا واقعه فى كل عصر يعيشه معالجة نابعة من هدى الوحى[٤].

ويقول عبدالفتاح إبراهيم: " التجديد: يعنى العودة إلى المتروك من الدين، وتذكير الناس بما نسوه، وربط ما يجد فى حياة الناس من أمور بمنظور الدين لها، لا بمنظارها للدين"[٥].

---

(١) فيض القدير للمناوى ١٤/١.

(٢) موجز تاريخ تجديد الدين لأبى على المودودى ص (١٣).

(٣) فيض القدير للمناوى ٣٥٧/٢.

(٤) انظر : الاجتهاد للتجديد سبيل الوراثة الحضارية لعمر عبيد حسنة ص (٢٠).

(٥) حسن الترابى وفساد نظرية التطوير للدين لعبد الفتاح إبراهيم محجوب ص (٥٣).

ومن مجموع هذه التعريفات للتجديد يمكننا صياغة تعريف جامع له ليكون معنى التجديد هو: **إحياء وبعث ما اندرس منه وتخليصه من البدع والمحدثات، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها**[١].

من خلال النظرة المتأنية لتعريف التجديد يمكن القول: إن الذى يقع عليه التجديد هو علاقة الأمة بالدين وفكرها المتفاعل مع نصوصه وليس الدين نفسه، إذ هناك فرق بين الدين والتدين، أما الدين فهو المنهج الإلهى الذى بعث الله به رسوله -ﷺ- وأنزل به كتابه، من عقيدة وعبادة، وأخلاق وشرائع، لينظم بها علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض، **والدين** بهذا المعنى، ومن حيث اسمه وأصوله، ثابت لا يقبل التغيير ولا التجديد.

أما التدين فيعنى: الحالة التى يكون عليها الناس فى علاقتهم بالدين فكرًا وشعورًا، عملا وأخلاقًا، فهذه الحالة هى التى يقع عليها التجديد، وتقبل الإصلاح والتغيير؛ لأن الفكر الإسلامى يتمثل فيما أنتجه المسلمون من علوم ومعارف واجتهادات على طريق تفسير الإسلام وفهمه وشرح أحكامه، أما الإسلام فهو الوحى الإلهى فى الكتاب والسنة الثابتة[٢].

ما الفرق بين الدين والتدين ؟

---

(١) انظر : التجديد فى الفكر الإسلامى للدكتور عدنان محمد ص (١٩).

(٢) انظر: ليس من الإسلام للشيخ محمد الغزالى ص (١٣٥).

المبحث الثانى

لماذا التجديد؟

إن التجديد فى الفكر الإسلامي حاجة تحتمها طبيعة هذا الدين، وتفرضها الخصائص التى خص الله بها هذه الشريعة الغراء، ويمكننا أن ندرك هذه الحقيقة، ونتأكد من لزومها من خلال التوقف عند بعض الخصائص التى يتلازم وجودها وبقاؤها على وجود التجديد واستمراريته.

وهذه الخصائص الخلود والشمول فخلود الشريعة الإسلامية وبقاءها إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الشرائع الإلهية، وأنها الشريعة التي لا يقبل سواها بعد مجيئها، كل ذلك اقتضى أن تكون شريعة عامة لجميع أبناء البشر، في العقيدة والعبادة والمعاملة وعقود الأسرة والمواريث والجنايات والعلاقات الداخلية والخارجية، وكونها عامة إنما هو من أجل خير البشر وإسعادهم في الدنيا والآخرة، لا لعصبية أو نزعة فوقية أو عرقية، قال الله تعالى مبينا هذا العموم والشمول ومقتضياته: ﴿ **قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ**

مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحيي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١)

فالخلود والبقاء والعموم لشريعة الإسلام يحتم التجديد، وذلك لسببين:

السبب الأول: لأن نصوص الشريعة محدودة والحوادث التى تقع ممدودة:

يقول الإمام الشاطبى – رحمه الله –: " فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر؛ فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصا على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك؛ فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضا اتباع للهوى، وذلك كله فساد؛ فلا يكون بد من التوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزوما، وهو مؤد إلى تكليف ما لا يطاق؛ فإذا لا بد من الاجتهاد في كل زمان؛ لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان"(٢).

السبب الثانى: تقادم الزمان وبعد الناس عن مصدر الوحى:

إن تقادم الزمان وبعد الناس عن مصدر الوحى يؤدى بدوره إلى اندراس كثير من معالم الدين، وكثرة الفساد، واتساع رقعة الانحراف، وتفشى البدع

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٨).

(٢) الموافقات للشاطبى ٣٩/٥.

والضلالات، عندها تصبح الحاجة ماسة إلى بعثة المجددين، وبروز قيادات إسلامية متميزة تعمل على إظهار الإسلام وتقديمه كما أنزل الله، وتبعد عنه كل العناصر والجزئيات الدخيلة عليه، والتى تحول دون تفاعل النفوس مع الوحى الإلهى، وتحيى ما اندرس من معالمه وأحكامه[١].

(١)انظر: التجديد فى الإسلام ،إصدار المنتدى الإسلامى ص (١٢).

المبحث الثالث

ركائز التجديد

التجديد ضرورة حتمية، وحاجة ملحة لبقاء الإسلام واستمراره، وهذا يقتضى بدوره أن يكون داخل الشريعة مقومات وركائز يقوم عليها التجديد، ويستند إليها عمل المجددين، والمتأمل فى الشريعة الإسلامية يجد أنها احتوت على العديد من الخصائص والصفات التى تكفل لها الدوام والبقاء والصلاحية لكل زمان ومكان وإنسان [١].

الركائز الأساسية للتجديد:

- **الركيزة الأولى: الجمع بين خاصتى الثبات والمرونة :**

١ – خاصية الثبات:

الثابت فى الإسلام هو ما لا يتغير بتغير الزمان أو المكان، ولا يسوع أن يكون محل اجتهاد، فأحكامه ثابته باقية مهما تطورت الحياة، لان المصالح التى روعيت فى تشريعها ثابته، وما بنى على الثابت فهو ثابت[٢].

ويتمثل هذا الثبات فى كليات الشريعة وأصولها العامة، فهذه لا تصدم بواقع زمان أو مكان، بل تفى بمتطلبات كل زمان ومكان على أحسن الوجوه وأكملها،

---

(١) انظر: التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر.... ص (٢٦).

(٢) انظر: معالم الهدى إلى فهم الإسلام لمروان القيسى (١١٧).

وفى هذه الحالة يجب إخضاع الواقع المتغير للثوابت الشرعية، ويحكم عليها بحكمه، لا أن يخضع الثابت للمتغير؛ لأنه إذا خضع الثابت للمتغير أصبح متغيرًا مثله، فيحصل التبديل والتغيير، وتفقد الضوابط والأصول، ولا يبقى حينئذ قيم ولا أخلاق، ولا قيود، ولا معايير ولا ثوابت ينطلق منها ولا أسس يبنى عليها(١).

وتتجلى خصيصة الثبات فى المجالات الآتية (٢):

***العقائد والحقائق الإيمانية والأخبار الغيبية:**

أركان الإيمان، وحقيقة أن غاية الوجود الإنساني هى العبودية المطلقة لله، وأن الدين المرتضى عند الله هو الإسلام، وأن الله لا يقبل من الناس دينًا سواه، وأن معيار التفاضل بين البشر هو الإيمان والتقوى، وأن الدنيا دار ابتلاء وعمل، وأن الآخرة دار جزاء وحساب، وغير ذلك من العقائد، فهى ثوابت لا تقبل التغيير ولا التطور؛ لأنها خصائص يقينية ثابتة أجمع عليها الأنبياء، يقول الله تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ..... ﴾(٣).

*** فى الأصول والكليات ومقاصد الشريعة العامة:**

---

(١) انظر : مقاصد الشريعة لمحمد سعد اليوبى ص (٤٣٨).

(٢) انظر: خصائص التصور الإسلامى لسيد قطب ص (٨٧).

(٣) سورة الشورى (١٣).

فهذه ثابتة لا يطرأ عليها تعديل ولا تبديل، إذ لا يعقل أن يكون مقصود الشرع المحافظة على النفوس والأعراض والعقول والأموال فى وقت ما، ثم يتحول قصد الشارع إلى إهدارها فى وقت آخر.

*** فى الأخلاق والفضائل العامة:**

فالصدق والصبر والأمانة والإحسان إلى الناس فضائل لا يعقل أن تصبح فى وقت من الأوقات رذائل.

*** فى العبادات:**

لأنها مرسومة على هيئات وصور خاصة، وهى عبادات محضة وأحكامها غير معقولة المعنى، وما كان شأنه كذلك فلا يجرى فيه مراعاة المصالح، ولا يؤثر عليه تغير الزمان والمكان، ولذا نص العلماء على أن الأحكام التعبدية لا يجرى فيها القياس؛ لأنها غير معقولة المعنى، ولا يستطيع العقل البشرى إدراك عللها الجزئية.

*** فى أحكام الحدود:**

كحد الزنا، وحد السرقة، وحد القذف، وحد الردة، وحد الحرابة، فهى غير قابلة للتغيير أو التبديل؛ لأن الشارع حدد المقصد من شرعية هذه الحدود، وحدد الى جانبه التى يجب اتباعها لتحقيق ذلك المقصد، فلا يجوز فى هذه الحالة أن يقول

أحد إنه بإمكاننا تحقيق مقصد الشرع فى زجر المفسدين بوسائل حديثه، من السجن والغرامة المالية؛ لأن الشارع لم يرد تحقيق مقصده إلا بالوسائل التى نصل عليها، بل إن مقصده لا يتحقق إلا بالوسيلة التى حددها، فحين نزيد فى العقوبة عما حدد نكون قد ظلمنا الفرد، وحين ننقص منها، نكون قد ظلمنا المجتمع.

*** أحكام المقدرات:**

كتقدير الأنصبة فى الزكاة، وتحديد عدد الطلقات، وحصص الوثة، بنصف أو ربع أو ثلث أو غير ذلك، فهذه المقادير غير قابله للتطوير والتغيير بحجة رعاية المصالح أو غير ذلك.

ويكون دور المجدد ومهمته تجاه هذه الثوابت، يكون فى بيانها، والدعوة إلى التمسك بها، والعمل بأحكامها، والتحذير من تعطيلها وترك العمل بها، أو تبديلها.

٢ – الخاصية الثانية: المرونة

تعنى المرونة فى الشريعة أن الله تعالى أودع فى هذه الشريعة من عوامل الحيوية والثراء ما يجعلها صالحة للنماء والتجدد الذاتى، وقادرة على مواجهة

مختلف التقلبات الزمانية والمكانية، والأحكام التى يمكن أن تتغير بتغير الزمان أو المكان: هى تلك الأحكام التى ربطها الشارع بعللها وأسبابها، فحين تتغير العلة أو السبب، فيعنى أن الواقعة قد تغيرت، فيتغير حكمها تبعا لذلك، ولا يعقل أبدًا اختلاف الحكم الشرعى فى واقعتين مماثلتين فى الحقيقة مشتركتين فى العلة والسبب.

يقول ابن القيم عن أنواع هذه الأحكام الشرعية: " الأحكام نوعان:

النوع الأول: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك ".

النوع الثانى: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالا، كمقادير التقديرات وأجناسها فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة". (١)

وتتجلى خاصية المرونة فى النص على القواعد الكلية دون التعرض للتفصيلات والجزئيات، فكثير من النصوص الشرعية، خاصة بما يتعلق بميادين الحياة المتغيرة، لم تتعرض للجزئيات والتفصيلات والكيفيات، بل اكتفت ببيان مقصد الشارع الواجب تحقيقه، ونصت على كليات وقواعد ثم تركت لولاة الأمور

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ٢٦٢/٤.

وأئمة الدين تحقيقها وتطبيقها بالوسائل المتاحة والمناسبة لكل عصر ومصر ومن ذلك:

* نصت الشريعة على وجوب قيام الحكم الإسلامى على مبدأ الشورى يقول الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[2].

الأمر بالشورى أمر كلى وقاعدة جاءت دون تفصيل لكيفيتها وتحديدها بل تركت تفصيل ذلك بما يناسب أوضاع المسلمين وظروفهم.

* نصت الشريعة على القضاء بين الناس وأوجب الله تعالى الالتزام بالعدل، والحذر من اتباع الجور والهوى، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[3].

ففى مجال القضاء لم يلزم بشكل معين للقضاء والتقاضى، فيجوز أن يكون القاضى واحدًا أو متعددا، ويجوز اعتبار حكم القاضى مبرمًا، كما يجوز إنشاء محاكم استئناف للتأكد من عدالة القضاء.

---

(١) الشورى (٣٨).
(٢) آل عمران (١٥٩).
(٣) النساء (٥٨).

* نصت الشريعة على الاستعداد وتجهيز القوة للدفاع عن الإسلام والمسلمين، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾[1]، وتركت كيفية هذا الاستعداد ونوع القوة إلى ظروف كل مجتمعه وما يفرضه عليه الواقع.

الركيزة الثانية من ركائز التجديد:رعاية الضرورات والأعذار والظروف الاستثنائية:

وذلك أن الله ما شرع حكما من الأحكام أو أوجب تكليفًا من التكاليف، إلا وشرع إلى جانبه سبل التيسير فيه، فقد شرع الصلاة بهيئة معينة، وأوقات محددة، لكنه راعى فى الوقت نفسه الظروف الاستثنائية التى يتعرض لها بعض الناس، فخفف من أركانها عن المريض، وشرع للمسافر الجمع والقصر.

وشرع الصيام وإلى جانبه شرع رخصة الفطر لأهل الأعذار، كالمريض والمسافر، وإلى غير ذلك من الأحكام التى راعى الشرع فيها أعذار الناس.

من استقرأ موارد الشرع يجد أن الشريعة الإسلامية تقوم على اليسر ورفع الحرج، وضع العلماء لبيان ذلك العديد من القواعد الدالة على ذلك منها:" المشقة تجلب التيسير"[2]،وكذلك:"والضرورات تبيح المحظورات"[1]، وكذلك:"الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف"[2].

---

(١) الأنفال (٦٠).

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطى ص (٣٧).

الركيزة الثالثة: تعليل الأحكام الشرعية :

تنقسم الأحكام الشرعية إلى قسمين:

أ – **أحكام تعبدية غير معقولة المعنى:** وهذا يجب على المسلم الخضوع لها وإظهار الطاعة والتسليم المطلق تجاهها، وتنفيذها بحرفيتها.

ب – **أحكام معقولة المعنى:** وهى التى تتيح للمجتهدين والمجددين توسيع صورها والقياس عليها وبناء الأحكام على عللها ومعانيها، وهى الغالب على أحكام الشريعة.

الركيزة الرابعة: مراعاة الشريعة لمصالح العباد:

الشريعة مبنية على تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة، فالشارع لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما مفسدته خالصة أو راجحة. وهذا الأصل شامل لجميع الشريعة لا يشذ عنه شيء من أحكامها، فما من خير إلا وقد حثنا عليه النبي – صلى الله عليه وسلم –، وما من شر إلا وحذرنا منه.

يقول **العز بن عبد السلام**– رحمه الله–: "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فتأمل

---

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ٣/٢.

(٢) لأشباه والنظائر للسيوطى ص (٣٧).

وصيته بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرا يحثك عليه أو شرا يزجرك عنه، أو جمعا بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثًا على اجتناب المفاسد وما في بعض الأحكام من المصالح حثا على إتيان المصالح"[١].

ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** – رحمه الله –:" أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان"[٢].

ويقول **ابن القيم** – رحمه الله –:" فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"[٣]

والمصالح الشرعية قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام: [٤]

أ – **مصلحة ضرورية:** هي التي شرعت لقيام أمر الدين والدنيا جميعا، وهذه كتوحيد الله عز وجل مصلحة دنيوية وذلك أن يحيا الإنسان حياة السعداء، كما

---

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ص (٩).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ٣٧٥/١.

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ٣/٣.

(٤) انظر : الموافقات للشاطبى ١٧/٢-٢٢.

قال الله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1]، ومصلحة أخروية لأن من مات على التوحيد فهو من أهل الجنة إن شاء الله تعالى، ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة.

ب – مصلحة حاجية: وهذه هي التي شرعها الله عز وجل تخفيافاً على المكلف، فإذا لم تراع دخل المكلفين فى الحرج والمشقة، وهي جارية في العبادات، والعادات، والمعاملات، والجنايات: ففي العبادات: كالرخص المخففة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض السفر، وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال، مأكلا ومشربًا وملبسًا ومسكنًا ومركبًا، وما أشبه ذلك.

ج – التحسينات: فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، أى: أنها شرعت لتحسين الدين وتجميله وتكميله كالنظافة مطلقاً بما في ذلك الوضوء والغسل، حسن الخلق، البشاشة مع الناس ونحو ذلك.

الركيزة الخامسة: مراعاة الشريعة لأعراف الناس وعاداتهم:

---

(١) الرعد الآية (٢٨).

إن جانبًا غير قليل من الأحكام الشرعية، له صلة وثيقة بالعرف، وهذا يدل على مرونة الشريعة الإسلامية لا سيما فى باب المعاملات، والعرف المعتمد عليه هو الذى لا يخالف دليل أو أصلا من أصول الشرع، وإذا كان العرف مبطلا لدليل من الأدلة الشرعية القطعية أو قاعدة من قواعد الشرع الأساسية، فإنه لا يكون معتبرًا ولا يصح الاحتجاج به.

فالعادات والأعراف الحسنة أو المباحة التى يشهد لها الشرع الشريف بالاعتبار والقبول جاءت الشريعة محكمة لها ومعتدة بها.

المبحث الرابع

الأصول الدينية الدالة على التجديد

من النصوص الدينية الدالة على شرعية التجديد للدين بين كل قرن وآخر، ما جاء فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة عن النبى –صلى الله عليه وسلم–: "**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**"(١).شرح هذا الحديث: –

(١) أخرجه أبو داود فى سننه – ١٠٩/٤ رقم ٤٢٩١ ، والحاكم فى المستدرك – ج٥٢٢/٤.

١ - **بيان المراد بالبعث:** هو الارسال والإثارة، ومعنى إرسال العالم: تأهله للتصدى لنفع الأنام، وانتصابه لنشر الأحكام[١].

٢ - **بيان المراد بالأمة:** قيل فى شرح هذا الحديث: إن المراد من الأمة فيه أمة الإجابة وهم المسلمون، ويجوز أن يراد أمة الدعوة. قال فى فيض القدير وقد يختص بالجماعة الذين بعث فيهم نبى وهم باعتبار البعثة فيهم ودعائهم إلا الله يسمون أمة الدعوة فإن آمنوا كلاً أو بعضاً سمى المؤمنون أمة إجابة، وهم المراد هنا بدليل إضافة الدين إليهم فى قوله "أمر دينها"[٢].

٣- **بيان المراد من رأس السنة:** قيل المراد آخرها لا أولها. فالمراد من البعث من انقضت المائة وهى حى عالم، يشار بالعلم إلى مقامه، وينصر السنة فى كلامه حتى قيل إن من كان على آخر المائة ولم يبق بعد انقضائها، بل مات قبل المائة الجديدة بخمسة أيام مثلاً، لا يكون مجدداً. وقد اعترض على هذا بأن رأس المائة من حيث اللغة أولها لا آخرها. وأجيب بأنه جاء فى اللغة رأس الشئ بمعنى آخر، قال فى تاج العروس: رأس الشئ طرفه، وقيل: آخره. وقيل إن البعث وهو الإرسال إنما يكون على رأس القرن بمعنى أوله. لأن معنى إرسال العالم تأهله للتصدى لنفع الأنام وانتصابه لنشر الأحكام، وموته فى آخر

---

(١) مقدمة فيض القدير للمناوى ١٧/١.

(٢) فيض القدير - ج١/١٠.

القرن أخذ لا بعث. وقد قيل إن قيد الرأس اتفاقى، والمراد أن الله تعالى يبعث فى كل مائة سنة هذا المجدد، سواء كان فى أول المائة أم فى وسطها أم فى آخرها، لأنه قد يكون فى وسط المائة من هو أفضل من المبعوث على رأسها، وإنما خصص الرأس بالذكر لكونه مظنة انخرام علماء القرن غالباً، وظهور البدع، وخروج الدجالين، وهذا هو المختار عندى؛ لأن التقييد بالرأس لا داعى إليه، وقد جرت الحوادث التاريخية على عدم التقيد بزمن فليكن على منوالها بعث هذا المجدد. (١)

٤- **بيان كون المجدد واحداً أم أكثر:** اختلف العلماء أيضاً: هل من يبعث فى المائة يكون واحداً أو أكثر، فقيل إنه لا يكون إلا واحداً؛ لأنه جاء فى بعض روايات الحديث التصريح بأن الله يبعث على رأس كل مائة رجلاً، وقيل: إنه قد يكون أكثر من واحد؛ لأن الرواية المشهورة "إن الله يبعث على رأس كل مائة من يجدد" ولفظ "من" يطلق على الواحد وغيره، وقد اختار هذا ابن حجر وغيره؛ لأن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر فى نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها فى شخص واحد.

٥- **المجدد هو دين الأمة وليس الدين نفسه:**

---

(١) سنن أبى داود مع عون المعبود - المرجع السابق - ج١١/٣٩٠ ، فيض القدير - المرجع السابق - ج١/١٠.

يقول النبى – صلى الله عليه وسلم–: " من يجدد لها دينها " أنه أضاف الدين إلى الأمة ولم يقل يجدد لها الدين؛ وذلك لأن الدين بمعنى المنهج الإلهى الذى بعث الله به رسوله – صلى الله عليه وسلم – وما اشتمل عليه من عقائد وعبادات وأخلاق وشرائع تنظم علاقة العبد بربه وعلاقته بغيره من بنى جنسه، ثابت كما أنزله الله لا يقبل التغيير ولا التجديد.

أما دين الأمة أى علاقة الأمة بالدين ومدى تمسكها وتخلقها به، وترجمتها له واقعًا ملموسًا على الأرض، فهو المعنى القابل للتجديد والتغيير، حيث يطرأ عليه الانحراف والتغيير والنسيان، فيأتى المجدد ليعيد الناس إلى المستوى الذى ينبغى أن يكونوا عليه بعلاقتهم مع الدين.

المبحث الخامس

الفرق بين التجديد والابتداع ، والتجديد والأصالة

أولا: الفرق بين التجديد والابتداع :

البدعة لغة هى: الحدث وما ابتدع من الدين بعد الإكمال[١].

واصطلاحاً: هى الفعلة المخالفة للسنة. [٢]

وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام، وفى البخارى "نعمت البدعة هذه"[٣] يعنى قيام رمضان.

وكل بدعة صدرت من مخلوق فلا يخلو أن يكون لها أصل فى الشرع أولاً، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وحض رسوله عليه، فهو فى حيز المدح. وإن لم يكن مثاله موجوداً كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعله من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سبق إليه. ويعضد هذا قول عمر – رضى الله عنه –: نعمت البدعة هذه، لما كانت من

---

(١) لسان العرب – ج١/٢٢٩.

(٢) التعريفات للجرجانى – ص ٣٤.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصيام – انظر فتح البارى – ٢١/٤ .

أفعال الخير وداخله فى حيز المدح، وهى وإن كان النبى -صلى الله عليه وسلم- قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس عليها، فمحافظة عمر -رضى الله عنه- عليها، وجمع الناس لها، وندبهم إليها بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة، وإن كانت فى خلاف ما أمر الله به رسوله فهى فى حيز الذم والإنكار، قال معناه الخطابى وغيره. (١)

وروى عن أبى بن كعب أنه قال له: إن هذا لم يكن، فقال عمر: قد علمت ولكنه حسن. ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصل فى الشريعة يرجع إليها:

- فمنها أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يحث على قيام رمضان ويرغب فيه، وكان الناس فى زمنه يقومون فى المسجد جماعات متفرقة ووحدانا - وهو صلى الله عليه وسلم - صلى بأصحابه فى رمضان غير ليلة ثم امتنع من ذلك معللاً بأنه خشى أن يكتب عليهم فعجزوا عن القيام به وهذا قد أمن من بعده صلى الله عليه وسلم، وروى عنه صلى الله عليه وسلم "أنه كان يقوم بأصحابه ليالى الأفراد فى العشر الأواخر".

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى - ٥٧٤/١ .

- ومنها أنه صلى الله عليه وسلم أمر باتباع سنة خلفائه الراشدين، وهذا قد صار من سنة خلفائه الراشدين، فإن الناس اجتمعوا عليه فى زمن عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم. (١)

- ومن ذلك آذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس إليه وأقره على واستمر عمل المسلمين عليه.

- ومن ذلك جمع المصحف فى كتاب واحد، توقف فيه زيد بن ثابت رضى الله عنه وقال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: كيف تفعلان ما لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم؟ ثم علم أنه مصلحة فوافق على جمعه، وقد كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يأمر بكتابة الوحى، ولا فرق بين أن يكتب مفرقاً أو مجموعاً بل جمعه صار أصلح.

- وكذلك جمع عثمان الأمة على مصحف وإعلامه لما خالفه خشية تفرق الأمة، وقد استحسنه على وأكثر الصحابة –رضى الله عنهم – وكان ذلك عين المصلحة.

- وكذلك قال من منع الزكاة توقف فيه عمر وغيره حتى بين له أبو بكر أصله الذى يرجع إليه من الشريعة فوافقه الناس على ذلك. (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب – ص ٢٦٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب – ص ٢٦٢.

وعلى هذا فالبدعة المذمومة وهى ما ليس لها أصل فى الشرع ترجع عليه ليست من التجديد المراد لقوله صلى الله عليه وسلم "من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[١]

فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله. وكل من أحدث فى الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين فى شئ. [٢]

وروى العرباض بن سارية عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[٣]

فقوله صلى الله عليه وسلم "ليس على أمرنا" إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغى أن تكون تحت أحكام الشريعة، فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول، ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلح – ٢٢١/٥ ومسلم فى كتاب الأقضية – ١٣٤٣/٣.

(٢)جامع العلوم والحكم لابن رجب – ص ٢٦٢ .

(٣)أخرجه أحمد فى مسنده – ٢١٠/٢ ، والترمذي ٤٤/٥ ،وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والأعمال قسمان: عبادات ومعاملات:

فأما العبادات فما كان منها خارجاً عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله يدخل تحت قوله تعالى ((**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**))[1] فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله فعمله باطل ومردود عليه وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصدية.

وأما من عمل عملاً أصله مشروع وقربة ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع أو أخل فيه بمشروع، فهذا أيضاً مخالف للشريعة بقدر إخلاله بما أخل به أو ادخاله ما أدخل فيه وهل يكون عمله من أصله مردوداً عليه أم لا فهذا لا يطلق القول فيه برد ولا قبول بل ينظر فيه: فإن كان ما أخل به من أجزاء العمل أو شروطه موجباً لبطلانه فى الشريعة كمن أخل بالطهارة للصلاة مع القدرة عليها أو كمن أخل بالركوع أو بالسجود أو بالطمأنينة فيهما، فهذا عمل مردود عليه إعادته إن كان فرضاً. وإن كان ما أخل به لا يوجب بطلان العمل كمن أخل بالجماعة للصلاة المكتوبة عند من يوجبها ولا يجعلها شرطاً فهذا لا يقال أن عمله مردود من أصله به هو ناقص.

---

(١) سورة الشورى الآية [٢١]

وإن كان قد زاد فى العمل المشروع ما ليس بمشروع فزيادته مردودة عليه بمعنى أنها لا تكون قربة ولا يثاب عليها ولكن تارة يبطل بها العمل من أصله فيكون مردوداً كمن زاد ركعة عمداً فى صلاته مثلاً وتارة لا يبطله ولا يرده من أصل كمن توضأ أربعاً أربعاً أو صام الليل مع النهار وواصل فى صيامه.[1]

وأما المعاملات كالعقود والفسوخ ونحوهما فما كان منها تغييراً للأوضاع الشرعية كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما أشبه ذلك فإنه مردود من أصله لا ينتقل به الملك لأن هذا غير معهود فى أحكام الإسلام. ويدل على ذلك أن النبى -صلى الله عليه وسلم - قال للذى سأله أن ابنى كان عسيفاً - أجيراً - على فلان فزنى بامرأته فافتديت منه بمائة شاة وخادم فقال النبى -صلى الله عليه وسلم -: المائة شاة والخادم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام"[2] وما كان منها عقداً منهياً عنه فى الشرع إما لكون المعقود عليه ليس محلاً للعقد أو لفوات شرط فيه أو لظلم يحصل به للمعقود معه أو عليه، أو لكون العقد

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب - ص ٢٤٣/٢٤٤.

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الشروط - ج٥/٢٤٤ ، ومسلم فى كتاب الحدود - ج٣/١٣٢٤.

يشغل عن ذكر الله عز وجل الواجب عند تضايق وقته أو غير ذلك –فهذا العقد هل هو مردود بالكلية لا ينتقل به الملك أم لا؟ خلاف بين العلماء. [1]

وكل من ابتدع فى الدين ما ليس منه، بل اتباعاً لهواه فهو مذموم شرعاً؛ لأنه قطعاً مخالفة للشرع، وفى هذا يقول الإمام الشاطبى فى شأن الاختلاف المذموم بأنه هو: ما كان ناشئاً عن الهوى المضل عن تحرى قصد الشارع باتباع الأدلة على الجملة والتفصيل، وهو الصادر عن أهل الأهواء، وإذا دخل الهوى أدى إلى اتباع المتشابه حرصاً على الغلبة والظهور بإقامة العذر فى الخلاف وأدى إلى الفرقة والتقاطع والعداوة والبغضاء لاختلاف الأهواء وعدم اتفاقها، وإنما جاء الشرع بحسم مادة الهوى بإطلاق. وإذا صار الهوى بعض مقدمات الدليل لم ينتج إلا ما فيه اتباع الهوى وذلك مخالفة للشرع. ومخالفة الشرع ليست من الشرع فى شئ فاتباع الهوى من حيث يظن أنه اتباع للشرع ضلال فى الشرع، ولذلك سميت البدع ضلالات، وجاء أن كل بدعة ضلالة؛ لأن صاحبها مخطئ من حيث توهم أنه مصيب ودخول الأهواء فى الأعمال خفى، فأقوال أهل الأهواء غير معتقد بها فى الخلاف المقرر فى الشرع، فلا خلاف حينئذ فى مسائل الشرع"[2]

---

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: جامع العلوم والحكم ص ٢٤٧ وما بعدها.

(٢) الموافقات للشاطبى – ج٤/٢٢ .

وترتيباً على ذلك عد العلماء من صفات الفرق الزائغة اتباع الهوى ومفارقة الدين واتباع ظواهر القرآن على غير تدبر ولا نظر فى مقاصده ومعاقده، وجاء فى حديث عائشة – رضى الله عنه – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " يا عائشة إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً من هم؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال "هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة. يا عائشة إن لكل ذنب توبة خلا أصحاب الأهواء والبدع ليس لهم توبة وأنا منهم برئ وهم منى براء"(١)

وفرق كبير بين اتباع الهوى وبين استعمال الرأى والقياس – كما شنع خصوم أبى حنيفة عليه ووصفوه باتباع الهوى– فاتباع الهوى الميل إلى الرأى لتحصيل مصلحة خاصة من مال أو جاه، أما استعمال الرأى بمعنى بذل الجهد ثم الوصول بعد ذلك إلى ما يعتقده من الحق فليس من الهوى فى شئ، فقد كان الإمام أبو حنيفة – رضى الله عنه – يتشدد فى الأخذ بالحديث، وهذا – من غير شك – يضطره إلى التوسع فى القياس والاستحسان، فإذا لم يكن فيه أثر كتاب ولا أثر صحيح فليس فيه أمام المجتهد إلا العمل بالقياس والاستحسان.

وكذلك كان من مبادئه إعمال عقله فيما إذا روى فى المسألة قولان أو أكثر للصحابة فيختار منها أعدلها وأقربها إلى الأصول العامة، وعدم الاعتداد بأقوال

(١) رواه الترمذى من حديث عمر بن الخطاب – ج٩/٥٧ .

التابعين إلا أن يوافق اجتهاده، فقد روى عنه أنه قال: "إنى آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات فإذا لم أجد فى كتاب الله ولا سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى أبى إبراهيم والشعبى والحسن بن سيرين وسعيد بن المسيب فلى أن اجتهد كما اجتهدوا"(١)

وهذا المنهج يسلم إلى عدم التزام العمل بالمأثور عن التابعين، ثم يسلم بعد إلى القياس والاستحسان. فظهر من ذلك أن هناك فرقاً كبيراً بين استعمال الرأى بعد بذل الجهد وبين اتباع الهوى، ومن ثم فليس من الإنصاف أن نبادر إلى تغليظ الأئمة إذا رأيناهم قد خالفوا حديثاً أو حرفوا معناه وفى هذا يقول الإمام الذهبى: "وبين الأئمة اختلاف كبير فى الفروع وبعض الأصول ولقليل منهم غلطات وزلفات ومفردات منكرة، وإنما أمرنا باتباع أكثرهم صواباً، ونجزم بأن غرضهم ليس إلا اتباع الكتاب والسنة. ثم قال: إذا رأيت فقيهاً خالف حديثاً أو رد حديثاً أو حرف معناه فلا تبادر لتغليطه. فقد قال على –رضى الله عنه – لمن قال له: أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل؟ فقال: "يا هذا إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله"، وما زال

(١) مناقب أبى حنيفة للمكى – ص٩٥.

الاختلاف بين الأئمة واقعاً فى الفروع وبعض الأصول مع اتفاق الكل على تعظيم البارى جل جلاله وأنه ليس كمثله شئ. وأن ما شرعه رسوله حق، وأن كتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة. وإنما وضعت المناظرة لكشف الحق وإفادة العالم الأذكى لمن دونه وتنبيه الأفضل الأضعف"[١]

ثانيًا: الفرق بين التجديد والأصالة :

لا منافاة بين الأصالة والتجديد، إذا حدد مفهوم كل منهما تحديداً دقيقاً ومنضبطاً فكلمة الأصالة فى اللغة ضد الزيف والدخيل والغش، فالأصيل فى القبيلة غير الزنيم الدعى، اللصيق بهم وليس منهم. وكلمة الأصيل إذا وصف بها الأشخاص أو الألفاظ تذكر عادة فى مقابل كلمة "الدخيل" أو الأجنبى، وإذا وصفت بها الأشياء تذكر فى مقابلة "الزائف" أو المغشوش.

جاء فى لسان العرب: يقال رجل أصيل له أصل، ورأى أصيل: ثابت الرأى عاقل. وفلان أصيل الرأى، وقد أصل رأيه أصالة، وإنه لأصيل الرأى والعقل ومجد أصيل أى ذو أصالة" ويقال: الأصيل الشريف الأصل، من يتصرف عن نفسه دون وكيل"[٢]

---

(١) فيض القدير للإمام المناوى – ج ٢٠٩/١.

(٢) لسان العرب – ج٨٩/١.

فالأصالة إذن لا تنافى إلا المغشوش أو الدخيل الذى يراد أن يلصق بنا، وينسب إلينا، وهو غريب عنا. وبناءً على هذا يمكننا أن نكون أصلاً ومجددين فى الوقت ذاته نبقى على الأصيل ونأتى بالجديد. وعلى هذا فالأصالة لا تعنى التقوقع على القديم ورفض كل جديد، مهما يكن فى القديم من ضرر، ومهما صاحب الجديد من نفع.

فبقاء كل قديم على قدمه، وإغلاق باب الإبداع والاجتهاد هو سبيل العاجزين الذين لا يريدون أن يعملوا ما وهبهم الله من عقول، ولا أن يبذلوا جهداً بناء يثبتون به وجودهم وصلاحيتها للخلافة فى الأرض. مرددين قول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً. وليست الأصالة رفض كل شئ جاء عن الغير، أيا كان ذلك الشئ وذلك الغير، فقد نستطيع أن نأخذ بعض الأطر أو الأشكال المناسبة لنا لنضع داخلها مضامين ناً ومفاهيمنا الخاصة بشرط ألا يكون مبعث ذلك مجرد الرغبة فى التقليد، بل الحاجة إلى التحسين.

المبحث السادس

شروط المجـــدد وصفاته

أجمل الإمام المناوى – رحمه الله– صفات المجدد بقوله "وإنما يكون مجدداً إذا كان مجتهدًا قائمًا بالحجة، ناصرًا للسنة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق والنظريات من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر، وفؤاد يقظان"(١).

وقال صاحب عون المعبود "فظهر أن المجدد لا يكون إلا من كان عالماً بالعلوم الدينية، ومع ذلك من كان عزمه وهمته آناء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها ونصر صاحبها وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها وكسر أهلها

---

(١) فيض القدير للمناوى١/١٠.

باللسان أو تصنيف الكتب أو التدريس أو غير ذلك ومن لا يكون كذلك لا يكون مجدداً البتة، وإن كان عالماً بالعلوم مشهوراً بين الناس مرجعاً لهم"[1].

عمل المجدد:

وذكر الإمام الغزالى صفات المجدد بقوله: "وأقام – أى المولى سبحانه تعالى – فى كل عصر من يحوط هذه الملة بتشييد أركانها وتأييد سنتها وتبيينها " وشرح الإمام المناوى ذلك فقال: "من يحوط هذه الملة" أى يصون ويحفظ هذه الطريقة المحمدية والسنن الإسلامية ويهتم بالذب عنها ويبالغ فى الاحتياط غير مقصر ولا متوان والتشييد الرفع والتأييد أو الأحكام والإتقان "وتأييد سنتها" تقويتها من الأيد وهو القوة الشديدة. "وتبيينها" أى توضيحها للناس"[2].

ويمكن تفصيل شروط المجدد وصفاته كما يلى:

الشرط الأول: أن يكون المجدد معروفًا بصفاء العقيدة وسلامة المنهج:

وذلك لأن من أخص مهمات التجديد إعادة الإسلام صافيًا نقيًا من كل العناصر الدخيلة عليه، وهذا لا يحصل إلا إذا كان المجدد من أهل السنة والجماعة

---

(١) عون المعبود ٣٩١/١١ – ٣٩٢.

(٢) فيض القدير – ١٣/١.

السائرين على منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام، ومن الطائفة المنصورة التى جاء وصفها بأنها فرقة من ثلاث وسبعين فرقة، وأنها تلزم ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه فى عقيدتها ومنهجها وتصوراتها.

الشرط الثانى: أن يكون عالمًا مجتهدًا:

وذلك لأن من أبرز المهمات التى ينبغى أن يضطلع بها المجدد مواجهة المشكلات التى تتولد فى كل عصر، والاجتهاد فى وضع الحلول الشرعية لها، وهذا لا يقدر عليه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد.

ويشترط فى المجتهد أن يكون محيطًا بمدارك الشرع، قادرًا على الفهم والاستنباط مطلعًا على أحوال عصره، فقيهًا بواقعه.

يقول المناوى – رحمه الله–: "إن على المجدد أن يكون قائمًا بالحجة ناصرًا للسنة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استباط الحقائق والنظريات، من نصوص الفرقان وإرشاداته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر وفؤاد يقظان "(١).

ويقول الشيخ المودودى – رحمه الله–: من الخصائص التى لابد أن يتصف المجدد هى: الذهن الصافى، والبصر النفاذ، والفكر المستقيم بلا عوج، والقدرة

(١) فيض القدير للمناوى ١٤/١.

النادرة على تبيين سبيل الإفراط والتفريط، ومراعاة الاعتدال بينهما، والقوة على التفكير المجرد عن تأثير الأوضاع الراهنة، والعصبيات الراسخة على طول القرون"[١].

الشرط الثالث: أن يشمل تجديده ميدانى الفكر والسلوك فى المجتمع:

وذلك لأن تصحيح الانحراف من أخص المهمات التى ينبغى أن يقوم بها المجدد، ومعلوم أن الانحراف يطرأ على السلوك كما يطرأ على الفكر، بل إن غالب الانحرافات السلوكية منشؤها انحرافات فكرية، فيقوم المجدد بتصويب الأفهام والأفكار، وتخليصها مما داخلها من شكوك وشبهات، ويحيى العلم النافع ن والفهم الصحيح للإسلام، ويبثه بين الناس وينشره بالتدريس، وتأليف الكتب، وغير ذلك من الوسائل المتاحة، ثم يعمد إلى إصلاح سلوك الناس وتقويم أخلاقهم، وتزكية نفوسهم، وإبطال التقاليد المخالفة للشريعة، وإعلان الحرب على البدع والخرافات ن والمنكرات المتفشية فى حياة الناس، ومواجهة الفساد بمختلف أشكاله وصوره. . . بهذا يكون المجدد قد جمع بين القول والفعل، والعلم والعمل، وقد أشار السلف إلى هذا الشرط بقولهم عن المجدد أنه ينصر السنة ويقمع البدعة[٢].

---

(١) موجز تاريخ تجديد الدين للمودودى ص (٥٢).

(٢) عون المعبود ٣٩١/١١.

الشرط الرابع: أن يعم نفعه أهل زمانه:

وذلك لأن المجدد رجل مرحلة زمنية، تمتد قرناً من الزمن، فلا بد إذن من أن يكون منارة يستضيء بها الناس، ويسترشدون بهداها، حتى مبعث المجدد الجديد على الأقل، وهذا يقتضى أن يعم علم المجدد ونفعه أهل عصره، وأن تترك جهوده الإصلاحية أثرًا بيناً فى فكر الناس وسلوكهم، وغالبًا ما يتم تحقيق ذلك عبر من يربيهم من تلامذة، وأصحاب أوفياء، يقومون بمواصلة مسيرته الإصلاحية، وينشرون كتبه وأفكاره، ويؤسسون مدارس فكرية تترسم خطاه فى الإصلاح والتجديد.

وقد أشار السيوطى –رحمه الله – إلى هذا الشرط حين قال:

وأن يكون جامعًا لكل فن وأن يعم علمه أهل الزمن [1]

(١) عون المعبود ٣٩١/١١.

المبحث السابع

مجالات التجديد

يمكن تحديد المجالات الإجمالية التى يتم التجديد من خلالها فى مجالات خمسة[1] هى:

المجال الأول: الحفاظ على نصوص الدين الأصيلة صحيحة نقية:

لأنه إذا كان المراد من حديث التجديد: إحياء وإعادة ما اندرس من الدين، فإن الدين إنما يقوم على النصوص الأصيلة التى أنزلها الله فى كتابه، أو بينها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولا بقاء لدين دون حفظ نصوصه، وقد تكفل الله تعالى بحفظه حيث يقول:

---

(١) التجديد فى الفكر الإسلامى المعاصرد.عدنان محمد ٧٣-٣١ بتصرف.

أما السنة فقد تكفل الله تعالى بحفظها أيضًا؛ لأن تكفله بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه وهو السنة، فحفظ الله السنة فى صدور الصحابة والتابعين.

وعلى الرغم من أن الإسلام بنصوصه الأصيلة كتاب وسنة، محفوظ بحفظ الله، إلا أن ذلك، إنما يتم ويتحقق بهمم العلماء الربانيين، وجهودهم، وتضحياتهم، وهذا ما حدث بالفعل، فقد حظى القرآن الكريم بعناية بالغة من المسلمين كتابة فى السطور وحفظًا فى الصدور، وجمع مرتين مرة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومرة فى عهد عثمان – رضى الله عنه –.

وقد تتابع الصحابة على نقل السنة بدقة فائقة، وتبعهم فى ذلك التابعون وتابعوهم، وبذلوا جهودًا كبيرة فى جمع كل ما أثر عن النبى –صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير، ونظرًا لظهور الوضاعين وأهل الأهواء الذين قاموا باختلاق الكذب على سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووضعوا الحديث، الأمر الذى أدى إلى اشتراط الإسناد كشرط من شروط قبول الرواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ولذلك قالوا الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وإلى غير ذلك من الشروط التى تعد من مفاخر المسلمين على غيرهم فى قبول وتوثيق الأخبار.فكل هذه الجهود

التى بذلت وتبذل لحفظ نصوص الدين الأصيلة من الضياع والاختلاط تعد من التجديد.

المجال الثانى: نقل المعانى الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها:

مما لا شك فيه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسر لأمته معانى القرآن الكريم وبينها بيانًا تامًا شافيًا، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

وقد تلقى صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معانى القرآن الكريم من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما تلقوا ألفاظه، وكذلك الأحاديث، إذ المقصود من الألفاظ معانيها، ومن غير المعقول أن يكون خطاب الله ورسوله لهم بما لا يفهمونه، وعليه يصبح فهم القرآن والسنة بفهم الصحابة وتلقى معانى النصوص منهم من الأمور التى تحتم لزومها، خاصة وأن نصوص الوحى كانت بلغة خطابهم اليومية، وقد عايشوا أسباب نزولها وحوادثها، وبادروا إلى العمل بها، وتفاعلت نفوسهم معها، لأنها مست أدق المسائل فى حياته، وواكبت مختلف ظروفهم وأحوالهم، كل ذلك يجعل فهمهم للنصوص جزءًا لا يتجزأ من الدين، والإعراض عن فهمهم اتباعًا لغير سبيل المؤمنين (٢).

---

(١) النحل (٤٤).

(٢)انظر : ما أنا عليه وأصحابى لأحمد سلام ص (٩٦).

لأنه إذا تُركت النصوص لأفهام الناس وعقولهم فلا يبعد أن تتعدد أشكال الدين، نظرًا لاختلاف العقول والأفهام، وتأثرها بعوامل الزمان والمكان والبيئة والثقافة والأهواء والنزعات، لذلك يلاحظ أن محاولات تحريف نصوص الكتاب والسنة فقد باءت بالفشل؛ لأنهما محفوظان بحفظ الله تعالى، وإنما نجح ما نجح منها فى مجال تحريف معانى النصوص وإخراجها عن دلالاتها بأنواع من التأويل وطرق الفهم(١).

فإحياء منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان فى تلقى الإسلام وفهمه وتطبيقه، والعناية بتوثيق المنقول عنهم، ومحاولة دحر كل محاولات الفهم المتطرف لنصوص الكتاب والسنة من أهم مجالات تجديد الدين.

المجال الثالث: الاجتهاد فى الأمور المستجدة، وإيجاد الحلول لها:

لأن الإسلام هو دين الله الخالد إلى قيام الساعة، الشامل لكل زمان ومكان وإنسان، ونصوصه محدودة بينما الحوادث والمستجدات ممدودة، فلابد إذن من حتمية فتح باب الاجتهاد لإنزال النصوص المحدودة على الحوادث الممدودة، وإيجاد الحلول المناسبة لما يطرأ على الناس من مشكلات متماشية مع روح القرآن والسنة، وإلا وقع الناس فى حرج وضيق.

المجال الرابع: تصحيح الانحرافات:

---

(١) معالم الهدى لمروان القيسى ص (١٠٨).

تصحيح الانحراف، وتنقية الإسلام مما يعلق به من العناصر الدخيلة من أهم معنى تجديد الدين.

والانحراف عن الدين على شكلين:

الشكل الأول: انحراف فى المفاهيم والقيم، وهو عبارة عن نشوء اعتقادات وتصورات عن الدين على خلاف الحق الذى أنزله الله وأراده.

الشكل الثانى: الانحراف فى السلوك والعمل، وهو عبارة عن بقاء الاعتقاد صحيحًا، لكن السلوك والعمل يخالف الاعتقاد والتصور.

لذلك كانت عناية المجددين بتصحيح الانحراف الناشىء عن الشبهات، وكذلك تجديد واصلاح الانحراف فى السلوك والأعمال.

المجال الخامس: حماية الدين والدفاع عنه :

وذلك لأن إعادة الدين إلى أصوله، وصيانته من عبث العابثين وتحريف المحرفين يحتاج إلى قوة وبأس، حيث إن الفكر لا يحارب إلا بالفكر المستنير المستمد من وسطية وتعاليم الإسلام السمحة، فالدفاع عن الدين يتمثل فى دحر الفهم المنحرف لنصوص الكتاب والسنة.

فكل من يبذل جهدًا فى ميدان من هذه الميادين الخمسة المتقدمة فله من التجديد نصيب.

المبحث الثامن

عمر بن عبد العزيز ودوره فى التجديد

يرى المتتبع لأقوال العلماء والمؤرخين والمهتمين بدراسة الحركة التجديدية، إجماعًا تامًا على عدّ الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز– رضى الله عنه– المجدد الأول فى الإسلام[1]، وكان أول من أطلق عليه ذلك الإمام محمد بن شهاب الزهرى[2]، ثم تبعه على ذلك الإمام أحمد فقال:" يروى فى الحديث

(١) عون المعبود للعظيم آبادى ١١/٢٦٠.

(٢) انظر: التجديد فى الإسلام ، ص ٦٥.

إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة أمر دينها، فنظرنا فى المائة الأولى فإذا هو عمر بن عبدالعزيز[١]"، وتتابع العلماء على عده أول المجددين[٢].

ولا شك أن عمر بن عبد العزيز خليق بأن يكون ممن يحمل عليه هذا الحديث، فقد كان عالماً عاملاً، همه كله، وعزمه، وهمته، آناء الليل والنهار إحياء السنن وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها، وكسر أهلها باللسان، والسنن[٣]، يقول ابن حجر العسقلاني: إن إجمّاع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، وأما من جاء بعده فالشافعي، وإن كان متصفاً بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل[٤].

ومع أن بعض العلماء رأى أن مقام المجدد الكامل لا يستحقه إلا مهدي آخر الزمان، وأنه لم يولد في الأمة المسلمة مجدد كامل حتى الآن، وإن كان عمر

---

(١) انظر:سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزى ص (٧٠)،وعون المعبود ١١/٢٦٠.

(٢) انظر :المجددون فى الإسلام للصعيدى ص (٥٧) ،موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه للمودودى ص (٦٣)

(٣) انظر: الآثار الواردة عن عمر في العقيدة١/ ١٧٧.

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلانى ١٣/ ٢٩٥.

بن عبد العزيز أوشك أن يبلغ مرتبة المجددية الكاملة لو أنه استطاع إلغاء طريقة الحكم الوراثية، وإعادة انتخاب الخليفة عن طريق الشورى[١].

وسواء استحق عمر بن عبد العزيز لقب المجدد الكامل أم لا، فإن الأعمال التجديدية التي قام بها، والجهود الكبيرة التي بذلها لاستئناف الحياة الإسلامية، وإعادتها إلى نقائها وصفائها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين تجعله على رأس المجددين الذين جاد بهم الزمان حتى يومنا هذا، وقد ساعده على ذلك موقعه الذي تبوأه على راس خلافة قوية، منيعة الجانب،مترامية الأطراف، ولكي ندرك حجم الأعمال التجديدية التي اضطلع بها هذا الخليفة، وقدر الإصلاح الذي أحدثه، ينبغي أن نقف على حجم الانحرافات التي طرأت على الحياة الإسلامية والتغيّر والانقلاب الذي حدث للخلافة الإسلامية، ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا حصرنا الانحراف في ذلك الوقت بنظام الحكم، وما نتج عن ذلك مظالم وفساد وأما الحياة العامة فكانت أنوار النبوة لازالت ذات أثر بالغ فيها وكان الدين صاحب السلطان الأول في قلوب الناس[٢].

وهاك عرض موجز للتعريف به:

---

(١) موجز تاريخ تجديد الدين للمودودي صـــ٦٩.

(٢) عمر بن عبد العزيز للندوي صـــ١٠.

أولاً – اسمه ولقبه وكنيته وأسرته:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، السيد أمير المؤمنين حقاً أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية[1]، كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين ، وكان حسن الأخلاق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيِّد السياسة حريصاً على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أوّاها منيباً، قانتا لله حنيفاً، زاهداً مع الخلافة ناطقاً بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوهُ وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيراً مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حقٍّ، فمازالوا به حتى سقوه السم فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين ، وكان رحمه الله فصيحاً مُفوَّهاً[2].

والده: هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، وكان من خيار أمراء بني أمية، شجاعًا كريمًا بقي أمير لمصر أكثر من عشرين سنة، وكان من تمام ورعه وصلاحه أنه لما أراد الزواج قال لقيمه: اجمع لي أربعمائة ديناراً من

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/ ١٤٤.

طيب مالي، فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح [1]، فتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي حفيدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- [2].

ولادته ومكانها:

اختلف المؤرخون في سنة ولادته والراجح أنه ولد عام ٦١هـ وهو قول أكثر المؤرخين ولأنه يؤيد ما يذكر أنه توفي وعمره أربعون سنة حيث توفي عام ١٠١هـ ، وتذكر بعض المصادر أنه ولد بمصر وهذا القول ضعيف لأن أباه عبد العزيز بن مروان بن الحكم إنما تولى مصر سنة خمس وستين للهجرة، بعد استيلاء مروان بن الحكم عليها من يد عامل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فولّى عليها ابنه عبد العزيز ولم يعرف لعبد العزيز بن مروان إقامة بمصر قبل ذلك، وإنما كانت إقامته وبني مروان في المدينة ، وذكر الذهبي أنه ولد بالمدينة زمن يزيد [3].

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يلقب بالأشج، وكان يقال له أشج بني مروان، وذلك أن عمر بن عبد العزيز عندما كان صغيراً دخل إلى اصطبل أبيه عندما كان والياً على مصر ليرى الخيل فضربه فرس في وجهه فشجه، فجعل

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/ ٣٣١.

(٢) عبد العزيز بن مروان وسيرته وأثره في أحداث العصر الأموي صـــ٥٨.

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبى ١/ ١١٨ ــ ١٢٠.

أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية إنك إذاً لسعيد ، ولما رأى أخوه الأصبغ الأثر قال: الله أكبر! هذا أشج بني مروان الذي يملك، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن من ولدي رجلاً بوجهه أثر يملأ الأرض عدلاً [1]. وكان الفاروق قد رأى رؤيا تشير إلى ذلك وقد تكررت هذه الرؤيا لغير الفاروق حتى أصبح الأمر مشهوراً عند الناس بدليل ما قاله أبوه عندما رأى الدم في وجهه وما قاله أخوه عندما رأى الشج في وجهه كلاهما تفاءل لعله أن يكون ذلك الأشج الذي يملأ الأرض عدلاً [2].

ثانيًا : أهم صفاته ومعالم تجديده:

إن شخصية عمر بن عبد العزيز تعتبر شخصية قيادية جذابة، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرباني، ومن أهم هذه الصفات: إيمانه الراسخ بالله وعظمته، وإيمانه بالمصير والمآل، وخوفه من الله تعالى والعلم الغزير، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة والمروءة والزهد، وحب التضحية، والتواضع، وقبول النصيحة، والحلم والصبر، وعلو الهمة، والحزم، والإدارة القوية،والعدل، والقدرة على حل المشكلات، وقدرته على التخطيط والتوجيه والتنظيم والمراقبة،وغير ذلك من الصفات، وبسبب ما أودع الله فيه

---

(١) المعارف لابن قتيبة صـــ٣٦٢.

(٢) فقه عمر بن عبد العزيز ١/ ٢٠ د. محمد شقير.

من الصفات الربانية استطاع أن يقوم بمشروعه الإصلاحي ويجدد كثيراً من معالم الخلافة الراشدة التي اندثرت أمام زحف الملك العضوض،واستطاع أن يتغلب على العوائق في الطريق، وتوجت جهوده الفذة بنتائج كبيرة على مستوى الفرد والمجتمع والدولة.

وأصبح منهج عمر بن عبد العزيز الإصلاحي التجديدي مناراً للعاملين على مجد الإسلام وقد ترسم نور الدين زنكي خطوات عمر بن عبد العزيز في عهده، فحقق نجاحاً كبيراً للأمة في صراعها مع الصليبيين، وكان الفضل لله ثم الشيخ أبي حفص عمر محمد الخضر المتوفي عام ٥٧٠هـ والذي كان أحد شيوخ نور الدين زنكي حيث كتب لنور الدين كتابه الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز لكي يسير عليها نور الدين زنكي في خطواته وجهاده.

ومن أهم الصفات التي تجسدت في شخصية عمر بن عبد العزيز شدة خوفه من الله تعالى كانت ميزته الكبرى والسمة التي اتسم بها ودافعه إلى كل ذلك هو إيمانه القوي بالآخرة وخشية الله والشوق إلى الجنة، وليس لغير هذا الإيمان القوي، تقول زوجته فاطمة بنت عبد الملك: والله ما كان بأكثر الناس صلاة، ولا أكثرهم صياماً، ولكن والله ما رأيت أحداً أخوف لله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحَنَّ

الناس ولا خليفة لهم[١]، وقال مكحول: لو حلفت لصدقت، ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز [٢].

وقد كان زهد عمر بن عبد العزيز مبني على الكتاب والسنة ولذلك ترك كل أمر لا ينفعه في آخرته فلم يفرح بموجود وهي الخلافة، ولم يحزن على مفقود من أمور الدنيا، وقد ترك ما هو قادر على تحصيله من متاع الدنيا انشغالا بما هو خير في الآخرة ورغبة في ما عند الله عز وجل[٣] ، قال مالك بن دينار: الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها[٤].

*** إصلاحات عمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنه– وأعماله التجديدية:**

أ ــ مبدأ الشورى :

كان فى أول لقاء لعمر بن عبد العزيز مع الناس حمد الله وأثني عليه وقال: يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لآنفسكم فصاح الناس صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضينا

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـــ٤٢.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي صـــ٢٢١.

(٣) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر صـــ١٤٨.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٢٥٧.

بك: فَلِ أمرنا باليُمن والبركة[١]. وبهذا يكون عمر قد قام بأول عمل تجديدي، حيث أعفى الناس من الملك العضوض، ولم يجبرهم على القبول بمن لم يختاروه، بل رد الأمر إليهم وجعله شورى بينهم[٢].

ب ــ الأمانة في الحكم وتوكيل الأمناء:

فقد تواترت النقول المفيدة أنه بلغ من حرصه على ذلك أقصى المراتب فقد استشعر عظم المسؤولية وضخامة الحمل منذ اللحظة الأولى لاستلامه الخلافة، فقال لمن سأله: مالي أراك مغتماً؟ قال: لمثل ما أنا فيه فليُغتم، ليس أحد من الأمة إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إليّ فيه، ولا طالبه مني[٣]. وقال: لست بخير من أحد منكم، ولكن أثقلكم حملاً[٤].

وكان يطالب عمّاله باختيار أصحاب الكفاءة والدين فيمن يولونه شأنا من شؤون المسلمين، فقد كتب إلى أحد عمّاله: لا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم، والتوفير عليهم، وأداء الأمانة فيها استرعى[٥].

وقد ساس رعيته سياسة رحيمة، وأمَّن لهم عيشًا رغيدًا وكفاهم مذلة السؤال، فقسم فضول العطاء في أهل الحاجات[١]، وقسم في فقراء أهل البصرة

---

(١) سيرة ومناقب عمر لابن الجوزي صـــ٦٥.

(٢) التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد صـــ٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٨٦.

(٤) المصدر نفسه ٥/ ٥٨٦.

(٥) تاريخ الطبرى ٩٢/٨.

ثلاثة دراهم لكل إنسان[٢]، وطلب من عماله أن يجهزوا من أراد أداء فريضة الحج، وكتب إلى عماله: أن اعملوا خانات في بلادكم فمن مر بكم من المسلمين، فاقروهم يومًا وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علّة فاقروهم يومين وليلتين، فإن كان منقطعًا به فقوّوه بما يصل به إلى بلده [٣].

وقد عزّ في زمن عمر وجود من يقبل الزكاة يقول عمر بن أسيد: والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون، فما يبرح يرجع بماله كله قد أغنى عمر الناس[٤]، وكانت حرمة المسلمين فوق كل الأموال فقد كتب إلى عماله: أن فادوا بأسارى المسلمين، وإن أحاط ذلك بجميع مالهم [٥].

ولا تزال خلافة عمر بن عبد العزيز حجة تاريخية، على كل أولئك الذين يشككون في إمكانية إقامة نظام اقتصادي إسلامي وبرهانًا ساطعًا على أن

---

(١) المرجع السابق ٩٦/٨.

(٢) تاريخ الطبرى ٩٧/٨.

(٣) تاريخ الطبرى ٩٧/٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٨٨.

(٥) سيرة عمر لابن الجوزي صـــ١٢٠.

الاحتكام للشريعة الربانية هو وحده الذي يكفل للناس السعادة في الدنيا والآخرة[١].

جـ - مبدأ العدل:

فقد كان فيه لعمر القدح المعلاّة، وكان بحق وارثاً فيه لجدّه لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد ضرب فيه على النقود عبارة: أمر الله بالوفاء والعدل [٢]، وطلب أن لا يقام على أحد حد إلا بعد علمه[٣]، وكتب لعامله الجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان: يا ابن أم جراح: لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطًا إلا في حق، واحذر القصاص، فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[٤]. وأنصف أهل الذمة وأمر أن لا يعتدي عليهم أو على معابدهم وكتب إلى عماله: لا تهدموا كنيسة ولا بيعة، ولا بيت نار صولحتم عليه[٥].

---

(١) خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز للندوى صـــ٤١ ــ ٤٢.وللمزيد انظر: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ٨٧- وما بعدها.

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـــ٩٨.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٨٨.

(٤) المرجع السابق ٨/٩١.

(٥) تاريخ الطبرى ٨/٩٨.

وقد رفع الضرائب التي فرضتها الحكومات السابقة، وأطلق للناس حرية التجارة في البر والبحر، وقد تبرأ من المظالم التي كان يرتكبها بنو أمية وتبرأ من الحجّاج وأفعاله وأنكر على عمّاله الاستنان بسنته[١].

د ــ أحياؤه مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أخذت الخلافة تتراجع عن الغاية التي قامت من أجلها وهي حراسة الدين، فنهض عمر بهذا المبدأ ورفع لواءه وأعلى شأنه وجعله المهيمن والمقدّم على ما سواه وما حقق عمر ما حققه من أعمال وإنجازات إلا انطلاقًا من خوفه الشديد من الله، وطلبه فيما فعله مرضاته،وقد ساعده على ذلك أنه كان من أجلة العلماء التابعين وأئمة الاجتهاد[٢]حتى قال عنه عمر بن ميمون: كان العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة[٣]وقد كان لسلامة دينه وصدق عقيدته الأثر البالغ في تجديده وإصلاحاته، فقد حارب الأهواء والبدع، وشدد النكير على أهلها[٤].

وقد نقل عنه الإمام الأوزاعي قوله: إذا رأيت قوماً يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة.وكان يرى أنه لا قيمة لحياته لولا سنة يحيها، أو بدعة يميتها، وقد أهتم اهتماماً شديداً بديانة الناس

---

(١) سيرة ومناقب عمر صـــ١٠٧ــ١٠٨.

(٢) انظر: التجديد في الفكر الإسلامي د.محمد عدنان صـــ٨٥.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى ٥/ ٥١٨.

(٤) التجديد في الفكر الإسلامي ٨٦.

وأخلاقهم، فكتب إلى عمّاله: اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلوات فمن أضاعها فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشدّ تضييعاً[1].

والناظر في رسائل عمر وخطبه وموعظة وهي أكثر من أن تحص يرى إيمانًا قويًا، ومراقبة جلية وخوفًا من يوم يقف فيه الناس بين يدي رب العالمين، وقد أثرت شخصية عمر وسياسته العادلة تأثيرًا بالغًا في حياة العامة وميولهم وأذواقهم ورغباتهم[2].

ويدل على ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه مقارناً عهد عمر بعهود من سبقه من الحكام السابقين: كان الوليد صاحب بناء واتخذ المصانع والضياع وكان الناس يلتقون في زمانه، فكان يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع، فولي سليمان فكان صاحب نكاح وطعام، فكان الناس يسأل بعضهم عن التزويج والجواري، فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل: ما وراءك الليلة؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم، ومتى ختمت. وما تصوم من الشهر؟[3].

---

(١) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـــ٨٣- صـــ ١٢٢.

(٢) التجديد في الفكر الإسلامي ٨٦.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٤٩٧ ، نقلا عن التجديد في الفكر الإسلامي ٨٧.

ولم يكتف عمر بإقامة الدين داخل دولته، بل وجّه عنايته إلى غير المسلمين، ودعاهم إلى الدخول في الإسلام، وراسل ملوك الهند وملوك ما وراء النهر، ووعدهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، فأسلم الكثير منهم وتسموا بأسماء العرب[١].

ولعل من أجّل الأعمال التي خدم بها هذا الدين أمره بتدوين العلوم الإسلامية وخاصة علم الحديث، فأصدر أوامره إلى أحد كبار علماء الحديث وأئمة العلم فى عصره أبى بكر محمد بن حزم يقول له :" انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه"[٢]، وغير ذلك من الإصلاحات الاقتصادية والقضائية[٣]. كل هذه الأعمال العظيمة والإصلاحات الجليلة حققها عمر في مدة خلافته الوجيزة، فغدا درة للأمة، ومنارة يستهدي بنورها المتلمسون دروب التجديد والإصلاح[٤].

رحم الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وأعلى ذكره في المصلحين فهذه معالم من سيرته الإصلاحية التجديدية الراشدية التي سار بها على منهاج

---

(١) خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز للندوي صـــ٣٠.

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـــ٣٢٧.

(٣) للمزيد انظر: عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح للصلابى ٣٥٣.

(٤) التجديد في الفكر الإسلامي ٨٦.

النبوة، وقد حفظ الله لنا هذه السيرة ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون.

الفصل الثانى

من تداعيات الاحتكاك الحضاري على العلوم الإسلامية في العصر الحديث

(النزعة العقلية وآثارها)

وفيه :

- **المبحث الأول** : النزعة العقلية في الثقافة الغربية.
- **المبحث الثانى** : آثار النزعة العقلية على العلوم الإسلامية ، أمثلة من علم التفسير، وعلم العقيدة، وعلم السنة.

المبحث الأول

العقل وعلاقته بالدين في الإسلام

قضية الصراع أو التعارض بين العقل والدين أو بين العلم والدين قضية غربية محضة، اشتهرت في ثقافة الغرب وحضارته طويلاً، وانتهت بانتصار العقل على الوحي، والعلم على الدين كما سبق بيانه.

وأما في البيئة والثقافة الإسلامية فلا وجود لها، فلم يعرف تاريخ الإسلام هذا الصراع، بل عرف التآخي والارتباط بينهما. فالدين في الإسلام علم لأنه يقوم على مخاطبة العقل، ويعتبره مناط التكليف، ويرفض التقليد في العلم بالعقائد، ويطالب بالنظر والتعقل لملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ، ويطالب بالبرهان والدليل في كل قضية وحوار.

والعقل في الإسلام أساس العلم بأعظم ركنين في الدين وهما : وجود الله سبحانه وإثبات النبوة.

فالعقل الصحيح في الإسلام لا يتصور تناقضه مع النقل الصحيح بحال، فالدين عندنا ليس شيئاً وراء العقل أو خارج نطاقه، كما في الأديان الأخرى الذين يعدون الدين أمراً وجدانياً لا شأن للعقل به، ويقبلون أن يؤمن الإنسان بما لا يتصوره العقل. فالدين الإسلامي قد يأتي بما لا تدركه العقول بأدواته، كالغيوب من البعث والجنة والبرزخ وما يحدث في الآخرة، ولكن لم يأت أبداً بما تحيله العقول ولا تتصوره بإطلاق.

وما يثيره البعض من أن البيئة الدينية لا تهئ لمناخ علمي لا ينطبق على الإسلام وشرعه، ولكنها تهمة تثار في طريق الدين مجلوبة من الغرب وتاريخه. أما في الإسلام فيرد ذلك النصوص والواقع والتاريخ. فالعقل في الإسلام هو

المخاطب بنص الشرع، والمكلف بفهمه وتدبره واستنباط أحكامه والعمل بمقتضاه، وملء الفراغ فيما لا نص فيه.

والعقل والوحي هاديان للإنسان إلى الحق، وهذا ما قرره علماء الإسلام تأكيداً لما جاء في نصوص الوحي، فالغزالي يقول: "فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور"[1].

ويقول محمد عبده : "وتقرر بين المسلمين كافة أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وإرسال الرسل، وإدراك فحوى الرسالة، كما أجمعوا على أن الدين إذا أتى بشئ يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل، فالعقل من أشد أعوان الدين الإسلامي"[2].

ويصف الغزالي أهل السنة والحق بأنهم هم الذين وفقوا بين مقتضيات الشرائع، وموجبات العقول، وتحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول[3].

هذا وقد وضع علماء الإسلام علامات وخطوط بارزة لعلاقة العقل بالوحي أو

---

(1) إحياء علوم الدين، ١٦/٣ نقلاً عن مقاصد الشريعة وضرورة التجديد للدكتور زقزوق، ص٧٩.

(2) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص٤٥.

(3) انظر : مقدمة الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي.

النقل هذه خلاصتها[1]:

- أن النص إذا صح سنداً ومتناً وفهماً وكان قطعياً لا يتعارض أبداً مع الدلائل العقلية القطعية الصريحة، وذلك لأن العقل والنقل وسيلتان لتحقيق غاية واحدة وهو الوصول إلى الحق، والتعرف عليه في الأقوال والأفعال والاعتقادات، كما أنهما من مصدر واحد وهو الله سبحانه، فكلاهما حق، والحق لا يعارض الحق أبداً، بل يؤيد بعضه بعضاً.

- وأما إذا كان أحدهما ظنياً والآخر قطعياً، فيقدم القطعي ويؤول الظني بما يوافقه، وتقديم القطعي ليس لكونه عقلياً أو شرعياً ولكن لكون الآخر ظنياً، مع اعتبار أن كثيراً مما يسميه الناس دلائل عقلية أو سمعية يعارض بعضها بعضاً ليس كثير منها يرقى إلى مستوى الدليل والبرهان، فهو دليل بحسب من يظنه كذلك وليس في نفس الأمر والواقع.

- إذا ما ظهر في الشرع ما يعز على العقل فهمه، فلا ينبغى للعقل أن يتهم الشرع ويرده، ولا يقال نأخذ بدليل العقل ونرد الشرع، لأننا لو رفضنا

---

(1) انظر : درء تعارض العقل مع النقل لابن تيمية ص ٥٠، منهج السلف بين العقل والتقليد. د/ محمد الجليند، شبهات حول الإسلام لمحمد قطب، الإسلام والعقل د/ عبدالحليم محمود، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة د/ عبد الحليم محمود ص ٩٢، مجلة الأزهر عدد صفر ١٤٢٤.

دليل العقل لكان ذلك قدحاً في الشرع لأننا عرفنا الشـــرع بالعقـــل فهـــو الأساس لتمسكنا بالشرع أو غير ذلك من المبررات، فالصواب أن العقـــل ليس أصلاً في إثبات الشرع كما يدعى البعض ولكنه أصل في علمنا به لا في إثباته، فالشرع ثابت بنفسه سواء علمناه بعقولنا أو لم نعلمه شأن كـــل الموجودات، وإنما علم العقل بالشرع على ما هو عليه، وعلى ما نزل به الوحي. فعلاقة العقل بما هو موجود ليس علاقة إثبات للوجود أو منع لـــه ونفى عنه، وإنما هي علاقة علم بالموجود على ما هو عليه في الوجـــود الخارجي، فالعقل لا يمنح وجوداً للمعدوم ولا يمنع عدماً عن الموجـــود، حتى يقال أن العقل أصل في إثبات الشرع أو العقل أساس الشرع. فـــإذا علم العقل بأدلته وجود الإله وصحة النبوة لزمه التسليم والطاعة بعد ذلك بما جاء به الوحي[1]. بل يقول ابن تيمة رحمه الله : "وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر بـــه الرســـول صلى الله عليه وسلم، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ... فكـــان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه ..." [2].

- يفرق علماء الإسلام بين الثوابت والمتغيرات في أمور الشرع، فإن قضايا

---

(1) درء تعارض العقل مع النقل ص ٥٢، وانظر منهج السلف بين العقل والتقليد، ص٦٠، د/ محمد الجليند.

(2) درء تعارض العقل مع النقل، لشيخ الإسلام، ص٥٩.

الغيب كالإيمان بالله والنبوة واليوم الآخر والصفات الإلهيـــة، هـــي مـــن الثوابت التي لا مدخل للعقل فيها إلا العلم بها فقط على مـــا أخبـــر بـــه الوحي، فالوحي جاء هادياً للعقل في العقائد كالإيمان بالله ورسوله صـــلى الله عليه وسلم واليوم الآخر، وفي مسائل الأخلاق وكذلك مبادئ التشـــريع العامة لأن العقل إذا بحث فيها بنفسه فإنه لا يصل إلى نتيجة يتفق عليهـــا الجميع. وأما ما يتصل بحياة الناس من أمور الكون والمعـــاش والشـــهادة فالإسلام جعل الكون كله مسرحاً لنظر الإنسان وعقله، فـــأمره بتعميـــره واستخلفه فيه، وطلب منه إعماره باكتشاف القـــوانين، والتعـــرف علـــى العلاقات السببية الكامنة في الأشياء، ليسخر الكون كله لخدمته وتحقيـــق مصالحه، وليحقق معنى الاستخلاف المأمور به، بل جعل ذلك من فروض الأعيان في تخصصات الحياة المختلفة على فريق معين من البشر. وجعل النكوص عن أداء هذه الوظيفة إهدار لطاقة العقل وضياع لرسالة الإنسان، وجريمة في حق الدين والدنيا.

- أن من أخطر أسباب الانحراف تقديس العقل البشري واعتبـــاره دلـــيلاً لا يخطئ، وتحكيمه في كل قضية، ولذلك ينادى عامـــة المنحـــرفين قـــديماً وحديثاً بتقديم العقل على نص الوحي الإلهي، واتهام أدلة الشرع أو تأويلها

إذا لم توافقه. وهذا من الضلال البين الذي رده علمـــاء الإســـلام. يقـــول الشاطبي: "وقد علمت أنه ليس كل ما يقضى به العقل يكون حقاً، ولـــذلك تراهم يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً، ثم يصيرون إلى ثالـــث بعد غد، ولو كان كل ما يقضى به العقل حقاً لكفى فـــي معـــاش الخلـــق ومعادهم، ولم يكن لبعثة الرسل فائدة .." [1].

ويقول الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله عن علـــم الســـلف: "وكـــانوا يعرفون أن الوحي إنما جاء هادياً للعقل وقائداً له في الأمور التي لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها ... وهذه الميادين هي الدين. والدين ليس رأياً بشرياً، إنه تنزيل من حكيم حميد، وكل موقف من البشر تجاه النص سوى موقف السجود له إنما هو موقف لتبديل الدين من أن يكون إلهياً إلى أن يكون بشرياً ..." [2].

ولقد اختلفت عقول البشر حتى الأذكياء منهم والعباقرة في أجلى حقـــائق الوجود، وهو حقيقة وجود الله سبحانه، وكذلك في حقيقة الإنسان وروحه. كمـــا أن حكم العقل ليس واحداً، فهو متعدد بتعدد عقول البشر، وتؤثر فيه أوضـــاع المكان والزمان، كما تحده وتحكمه طاقة الإنسان وأدواته للمعرفـــة، وتأســـره ميوله وهواه وشهواته، وكل ذلك يجعل أحكامه متهمـــة بعيـــدة عـــن الحيـــاد

---

(1) الاعتصام ١/١٤٤.

(2) انظر الإسلام والعقل، د/ عبدالحليم محمود، ص٢٤.

والموضوعية.

وبهذا الميزان الدقيق تعادلت كفة العقل مع الدين في الإسلام وثقافته، وتآخى الطرفان وتعاونا في هداية الإنسان إلى طريق سعادته في الدنيا والآخرة، وشكلا معاً معلماً من معالم الوسطية الإسلامية التي امتاز بها الإسلام في كل نواحي التفكير والحياة.

وللعقل دوره أيضاً في عملية فهم النصوص المنضبطة بأصول اللغة والشرع، فيفكك اللغة والنص لاستخلاص الحكم، واستلهام مقاصد الشريعة، وفهم الجزئيات في ضوء الكليات، مما يفتح المجال أمام اكتشاف جديد لمخزونات النص القرآني والتوجيهات النبوية، ويسمح باستنباط معان جديدة، فهو منهج قائم على الترابط بين النقل والعقل[1].

قال شارح الطحاوية : "وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن العالم أن يصير نبياً رسولاً"[2].

ويظهر من هذا العرض أن تقدم الغرب وازدهار حضارته لا يرجع إلى

---

(1) انظر : فلسفة التجديد الإسلامي، د/ محمد زرمان، ص٨٤.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠٢.

نبذ الدين واحتضان العقل فقط، كما أن تأخر الشرق الإسلامي ليس سببه التمسك بالدين وإبعاد العقلانية كما يدعى الغربيون وأتباعهم، فالسبب الحقيقي لانحراف الغرب وتأخرهم في العصور الوسطى هو إتباعهم لدين محرف وليس مطلق الدين، كما أن تأخر الشرق علته تركهم لأصول دينهم المحفوظ بحفظ الله سبحانه، وعدم إتباعهم لسننه ومعالم منهجه. وغياب معرفة حقيقة أسباب التأخر في عالم الإسلام قاد هذا النفر من فريق المستغربين والمنبهرين بالغرب وحضارته وتقدمه إلى الدعوة إلى إتباع طريق أوروبا ومنهجها في نبذ الدين وسيادة العقلانية على حسابه، أو على الأقل تأخره وتحجيمه في زوايا المساجد مع إفساح المجال للعقل وفهمه للسيطرة على مجالات الحياة المختلفة. وحتى رموز العلم الإسلامى لم ينجوا من شرر هذه الدعوة، وهذا الانبهار بحضارة الغرب فظهر ذلك بصور متعددة في تناولهم للعلوم الإسلامية وقضاياها كما سنرى.

المبحث الثانى

آثار النزعة العقلانية الغربية على العلوم الإسلامية

أمثلة لآثارها على التفسير والمفسرين :

وقد ظهر التأثر بفلسفة الحضارة الغربية المادية والعقلية في التفسير وعلومه، فوجد نفر من علماء الإسلام من يفسر الآيات القرآنية بما يجعلها مقبولة بمقاييس الفلسفة الغربية. وقد بان ذلك بوضوح في تفسير الآيات التي تتعلق بالغيب والبعث وأشراط الساعة، وهي الأمور الغيبية التي لا تخضع للتجريب وملاحظة العقل ومقايسته. ولتأثر التفسير بهذه الفلسفة مظاهر متنوعة منها :

- تأويل ما لا يخضع لهذه النزعة بالحمل على التمثيل :

ففي تفسير قوله تعالى : " فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ "[1].

يقول عبدالقادر المغربي: "والنفخ في الصور في لسان الشرع قد يكون تمثيلاً وتصويراً لبعث الأموات وانبعاثهم من أرماسهم بسرعة تحكى سرعة المجتمعين وقد هتف بهم بوق عظيم"[2].

---

(1) سورة الحاقة، الآية رقم ١٣.

(2) تفسير جزء تبارك، ص٣٦ للشيخ عبدالقادر المغربي.

فالنفخ في الصور أمر غيبي أخبرنا الحق سبحانه بحدوثه حقيقة يوم القيامة دليلاً على البعث ولا ندرى كيفيته، ولما كان أهل الغرب لا يؤمنون بدين ولا بغيب إلا ما وافق عقولهم وخضع لمقاييس الحس والتجريب، لذلك نجد هذا النفر يؤول هذه الآية بالمخالفة للمأثور واللغة، ويجعل ذلك النفخ من باب التمثيل لا الحقيقة.

ويقول الشيخ محمد عبده: "والنفخ في الصور تمثيل لبعث الله للناس يوم القيامة بسرعة لا يمثلها إلا نفخة في بوق فإذا هم قيام ينظرون"[١].

وهم بهذا التأويل قد خالفوا ظاهر الآية، فقد نصت على أنه صور ينفخ فيه مرتان.

وخالفوا اللغة فقد نقل البخارى عن صاحب الصحاح أن الصور البوق الذى يزمر به وهو معروف. ويقال إن الصور اسم القرن بلغة اليمن، وشاهده قول الشاعر:

نحن نفخناهم غداة النقعين نفخا شديدا لا كنفخ الصورين [٢]

---

(١) تفسير جزء عم، ص٥٠، كتاب الجمهورية.

(٢) الفتح كتاب التفسير ٤١٣/٨، المفردات فى غريب القرآن، ص٤٢٦.

وخالفوا المأثور، فقد روى الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابى إلى النبىﷺ فقال: "ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه". [1]

وما رواه كذلك عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: "وكيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن حتى يؤمر بالنفخ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبىﷺ، فقال لهم: "قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا". [2]

وأكد أنه قرن حقيقى ينفخ فيه، ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو عنه ﷺ: "ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصفى ليتا ورفع ليتا (صفحة العنق). قتال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله. قال فيصعق، ويصعق الناس ..." [3]

وخالفوا المفسرين أيضا، فقد صحح أهل الشأن من المفسرين القدماء أن الصور هو القرن الذى ينفخ فيه. [4]

وكذلك تأويلهم لقوله تعالى: "ويحمل عرش ربكم فوقهم يومئذ ثمانية". [1]

([1]) تحفة الأحوذى باب ما جاء فى الصور ٩٩/٧، قال الترمذى: حسن صحيح. وأخرجه أيضا أبو داود وأحمد والحاكم وصححه ووافقهالذهبى.

([2]) المصدر السابق، وحسنه الترمذى.

([3]) صحيح مسلم شرح النووى، باب خروج الدجال... والنفخ فى الصور ٣٨٤/٨.

([4]) انظر: جامع البيان ٣١٤/٥|، تفسير الرازى ٣٥١٣، تفسير القرطبى ٢٤٥٦/٤، ابن كثير ١٤٦/٢

فقد أول صاحب المنار عرش الرحمن سبحانه لأن ظاهرة لا يوافق عليه العقل فى نظره فقال: "وحمل عرش الرب فى الآية قد يكون تمثيلا لكمال عزته سبحانه وانفراده بالجلالة والعزة والملك فى ذلك اليوم. [٢]

وهذا التأويل مخالف لظاهر الآية وللغة وللمأثور، أما ظاهر الآية فواضح لأنها نصت على أن للرب سبحانه عرشا يحمله فوقهم ثمانية من الملائكة الكرام الشداد. وفى اللغة العرش سرير للملك، ومنه قوله تعالى عن بلقيس: "ولها عرش عظيم" [٣]، والعرش أصله فى اللغة شئ مسقف مرتفع، وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه، ومنه قوله تعالى عن أبوى يوسف عليه السلام: "ورفع أبويه على العرش" [٤]، وقوله تعالى عن عرش بلقيس: "نكروا لها عرشها" [٥] وغيرها من الآيات [٦].

قال شارح الطحاوية: "والقرآن إنما ينزل بلغة العرب، فهو: سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات.

---

(١) سورة الحاقة: ١٧.

(٢) تفسير المنار ٨/٤٧١.

(٣) النمل: ٢٣.

(٤) يوسف: ١٠٠.

(٥) النمل: ٤١.

(٦) انظر: المفردات، ص٤٩٣، القاموس المحيط، ص٥٩٧.

ومن شعر عبد الله بن رواحة رضى الله عنه، الذى عرض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثور الكفرينا

وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا [1]

وأما السنة فقد أكدت هذا المعنى الحقيقى للعرش، فقد ثبت أن للعرش قوائم تحمله الملائكة كما جاء فى الصحيح عنه ﷺ: "فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور". [2]

وروى أبو داود عن النبىﷺ قال: "أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام". [3]

([1]) شرح الطحاوية، ص٢٧٨.

([2]) الفتح كتاب أحاديث الأنبياء ٥١٤/٦، ومسلم شرح النووى كتاب الفضائل ٢٥٧/٧.

([3]) والحديث صححه ابن كثير ٤١٥/٤، والألبانى انظر هامش الطحاوية ص٢٧٩.

وجعل صاحب الطحاوية تأويل العرش بالملك من التحريف الكلام الله تعالى فقال: "وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله: "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية"، وقوله: "وكان عرشه على الماء" [1]. أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذا بقوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدرى ما يقول". [2]

وقد أكد المفسرون ذلك فقال القرطبى: "وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم مجسم خلقه الله عز وجل؛ وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق فى الأرض بيتاً وأمر بنى آدم بالطواف به واستقباله فى الصلاة."(٣)

ومن ذلك التأويل ما ورد عن الإمام محمد عبده بأن قصة آدم عليه السلام يحتمل أن تكون من باب التمثيل لا من باب الحقائق، والذى دعاه إلى هذا تأثره بنظرية التطور السائدة فى العالم حينئذ، يقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر مسائلا عن هذا الانحراف الفكرى: "لم ذكر الشيخ محمد

---

(١) سورة هود: ٧.

(٢) شرح الطحاوية، ص٢٧٩.

(٣) تفسير القرطبى ٥٧٣٨/٨. وانظر: تفسير ابن كثير ٤٥١/٤، وروح المعانى ٧٨/١٦.

عبده هذا الاحتمال، حينما نتسائل حقيقة عن هذا السر نجد أن الشيخ رأى أن فكرة التطور منتشرة فى جميع أرجاء أوربا، بل والعالم، وهى فى ظاهرها تتعارض مع التعاليم التى تنبئ أن آدم هو أول البشر، وهو الذى خلقه الله وسواه، وخاطب الملائكة فى شأنه وأمرهم أن يسجدوا له. رأى الشيخ أن كل ذلك لا يتلائم كثيرا مع فكرة التطور المزعومة.. فماذا صنع؟ ذكر هذا الاحتمال، وبذلك يمكننا أن نؤولها كيفما شئنا، وما كنا نود أن يجيز ذلك إذ أنه يفتح للناس باب التأويل فى صورة ضارة". (١)

ومن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى : " فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً "(٢).

يقول صاحب المنار: "فإيتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر تمثيل وتصوير لحالة المطلع على أعماله في ذلك اليوم، فمن الناس من إذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وهو التناول باليمين، ومنهم من إذا تكشفت له سوابق أعماله عبس وبسر وأعرض عنها وأدبر وتمنى لو لم تكشف له، وهذا هو التناول باليسار أو وراء الظهر..." (٣).

---

(١) الإسلام والعقل، د/ عبد الحليم محمود، ص٢٢٨.

(٢) سورة الانشقاق، الآيتان ٧-٨.

(٣) تفسير جزء عم، ص١٠.

ولم يقل بهذا التأويل أحد من المفسرين المشهورين ممن يرجع إليهم، وذهبوا إلى ظاهر الآية وحقيقة الألفاظ. [1]

فهم بهذا التأويل المخالف لحقيقة اللفظ مسبوقون بنظرائهم من أهل الاعتزال في القديم الذين أولوا حقيقة الآيات القرآنية لتوافق عقولهم، مع عدم الضرورة لهذا التأويل، فلا العقل يحيله، ولا الشرع ينكره، ولا دليل لهم على تأويلهم إلا مجرد تحكيم عقولهم فى غيوب خارجة عن مجال العقول.

– رد ما يحدث من انقلاب كوني يوم القيامة إلى أسباب طبيعية :

فتأثرهم بهذه النزعة المادية العقلية جعلهم يقربون أمر البعث إلى العقول بكونها قائمة على أصول طبيعية حتى تظهر بالطابع العلمي ــ على ظنهم ــ فتلقى القبول، لأن العلم ومكتشفاته أصبح الميزان للقبول عندهم لا الوحي وحقائقه.

يقول صاحب المنار في تفسير قوله تعالى: "إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وبُسَّتِ الجِبَالُ بَساً"[2]، فهذه الرجة هي التي سماها في سور أخرى بالقارعة

([1]) انظر: تفسير الرازى ١٠٧/٣١، روح المعانى ١٤٤/١٦ وغيرهما.

([2]) سورة الواقعة، الآيتان ٤–٥.

والصاخة، والمعقول أن كوكباً يقرعها باصطدامه بها فتفتت جبالها وتكون كالهباء المتفرق، وهو ما يسمونه بالسديم ..." [1].

ويقول الشيخ المراغي في تفسير قوله تعالى : "وحُمِلَتِ الأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً واحِدَةً "[2]، : "أي رفعت من أماكنها ولا ندرى كيف رفعت فذلك من أنباء الغيب، فقد يكون ذلك بريح يبلغ من قوة عصفها أن تحملها، أو أن ملكاً يحملها، أو بقدرة الله من غير سبب ظاهر، أو بمصادمة بعض الأجرام كذوات الأذناب ..." [3].

ويكفى القول أن ذلك من أنباء الغيب لا ندرى بأى سبب رفعت، وأما محاولة بيان أسبابه ورده إلى أسباب طبيعية فإنه من أثر التمسك بالعقل ومظاهر العلم الحديث، وتحكيمه في أمور غيبية ليس لنا أن نذكر فيها إلا ما ورد الشرع به، ونفوض علم ما سواه إلى الله سبحانه، فلا يلزم لقيام الساعة وأحداثها ما ذكروه من مرور كوكب في سيره بالقرب من آخر فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره، لا يلزم ذلك، بل الله سبحانه قادر على أن

---

(1) تفسير المنار ٨/٤٧١.

(2) سورة الحاقة، الآية رقم ١٤.

(3) تفسير المراغي ٢٩/٥٤.

يحدث هذا بأمر أو أمور أخرى، أو من غير سبب من هذه الأسباب الكونيـــة، فهو سبحانه لا يعجزه شئ، ونواميس الكون ملزمة للمخلوق لا خالقها سبحانه.

وفي تفسير قوله تعالى: " وأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِم بِحِجَـــارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ"[1].

فسرت هذه المعجزة تفسيراً يجعلها أمراً مألوفاً قريباً من العقل الـــذي لا يؤمن بالخوارق، فالطير هو الذباب أو البعوض، والحجارة التي يحملهـــا هـــي الجراثيم والميكروبات المعروفة حديثاً فأصابتهم بمرض الطاعون. وهذا التفسير بعيد عن معاني الألفاظ وحقيقتها ولم يعرفه العرب وقت نـــزول الآيـــة، وقـــد فسرها العلماء وفق مدلول اللغة وظاهر الألفاظ، فالطير معروف في السماء لم يحدده الله سبحانه، فسره بعضهم بالخطاطيف أو غير ذلك من أنواعـــه، وأنـــه يحمل حجارة مرئية اختلفوا في حجمها ولم يحدده النص[2].

أما من رأى عدم قبول أهل العصر وعقول الغرب لهذا التفسير، فقد جاء باجتهاد منه يقربه إلى عقولهم. يقول محمد فريد وجدي: "ولا يبعد أن تكون تلك الطيور جراثيم الطاعون ..."[3]. ويقول الشيخ المراغي: "ولاشـــك أن الـــذباب

---

(1) سورة الفيل: ٣، ٤.

(2) انظر : البحر المحيط لابن حبان، ٥٤٤/١٠، تفسير القرطبى ٧٢٨٨/١٠، تفسير ابن كثير ٥٢١/٤.

(3) المصحف المفسر، ص٨٢٢.

يحمل كثيراً من جراثيم الأمراض، فوقوع ذبابة واحدة ملوثة بالمكروب على الإنسان كافية في إصابته بالمرض الذي يحمله"[١].

ويقول الشيخ محمد عبده: "فيجوز أن الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون الحجارة من الطين المسموم"[٢].

ويرد ذلك الذهبي: "لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، فلا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال"[٣].

وكذلك رد هذا التأويل سيد قطب وبين أن تفسيرهم هذا قائم على تضييق نطاق الخوارق والغيبيات، ثم أشار إلى العلة في ذلك وهو مواجهتهم للخرافات الشائعة في هذا الوقت، مع الفتنة بالعلم الحديث كل ذلك جعلهم يسلكون هذا المنهج في التفسير"[٤].

- الإفراط فى تأويل الآيات التي تنص على معجزات الأنبياء لتتوافق مع العقل :

---

(١) تفسير المراغى ٢٤٢/٣٠، ١٩٦١.

(٢) تفسير جزء عم، ص٢٣٢.

(٣) التفسير والمفسرون، ٢٣٥/٣.

(٤) انظر: فى ظلال القرآن ٣٩٧٧/٣٠، ١٩٨٦.

والإفراط في التأويل للآيات الغيبية مخرج آخر يلجأ إليه بعض المفسرين العصريين إذا كان ظاهر الآية يتعارض مع عقول أهل الغرب ومعاييرهم في الحكم على الأديان، فإحياء الميت بضربه ببعض البقرة ليس على حقيقته وإنما المقصود به حفظ دمه، وذلك في قوله تعالى : " فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى ويُرِيكُمْ آيَاتِهِ"[1]،يقول صاحب المنار:"ومعنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يحيها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله تعالى:" ومَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً "[2].

ويرد الشيخ شلتوت فى تفسيره ذلك التأويل مع بيان سببه فيقول : "وجدنا هذا النص إن لم يمنع من الحمل على إرادة الحكم الشرعي فلا أقل من أن يبعده إبعاداً، ذلك بأن كلمة "اضربوه" واضحة في أن يضرب المقتول ببعض البقرة المذبوحة .. وقوله : "كذلك يحى الله الموتى" يدل على أن الإحياء المشبه به إحياء حقيقي بعد موت تسلب فيه الروح، وليس إحياءاً حكمياً ...".

ثم يبين سبب ذلك التأويل: "والذى حمل الأستاذ الإمام على هذا فيما نظن هو رغبته في التخلص من الاعتراض الذي ذكره بعض المستشرقين".

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم ٧٣.

(2) سورة المائدة، الآية رقم ٣٢. ، وانظر تفسير المنار ٢٦٩/٢.

فمبالغته في تحكيم العقل ومراعاته لفلسفة الغرب ومناهجهم فى النظـــر جعله يستبعد حصول مثل هذه المعجزة لسيدنا موسى عليه السلام، فأولها بهـــذا التأويل المخالف لحقيقة الألفاظ ومقصد الآيات.

وكذلك تصريح الحق سبحانه بأن إحياء الموتى من معجزات عيسى عليه السلام لا يدل على وقوع ذلك، فقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: "أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّـــهِ"(١)، يقـــول الشيخ محمد عبده: "وغاية ما يفهم منها أن الله تعالى جعل فيه هذا السر ولكـــن لم يقل أنه خلق بالفعل، ولم يرد عن المعصوم أن شيئاً من ذلك وقع"(٢).

وآية المائدة تؤكد وقوعه لأن الله سبحانه جعل ذلك متعلق النعمة فقـــال: "اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلَى والِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ القُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْـــدِ وكَهْلاً وإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنجِيلَ وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي"(٣).

وأما رفع عيسى عليه السلام فإنه مؤول برفع مكانته وليس برفع الجسد والروح كما ورد، ففي تفسير قوله تعالى " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّـــي مُتَوَفِّيـــكَ

---

(١) آل عمران: ٤٨، ٤٩.

(٢) تفسير المنار ٣/٢١١.

(٣) المائدة : ١١٠. وانظر: منهج المدرسة العقلية فى التفسير ٢/٧٠٠.

ورَافِعُكَ إِلَيَّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَذِينَ كَفَرُوا .."[1]، يقول الشيخ شلتوت: "وظاهر أن الرفع ــ الذي يكون بعد التوفيه ــ هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله : "ومطهرك من الذين كفروا"، مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم. وقد جاء في القرآن بهذا المعنى : "في بيوت أذن الله أن ترفع"[2]، "ورفعنا لك ذكرك"[3].

وإذن فالتعبير بقوله: "ورافعك إلى"، وقوله: "بل رفعه الله إليه" كالتعبير في قولهم: لحق فلان بالرفيق الأعلى، وفي: "إن الله معنا"، وفي: "عند مليك مقتدر"، وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدس، فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة (إليه)؟ [4].

ويقول صاحب المنار: "فالمتبادر في الآية إنى حميتك وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي، كما قال في إدريس عليه السلام: "ورفعناه مكاناً علياً"، وإن الله يضيف إليه ما يكون فيه الأبرار من عالم الغيب قبل البعث وبعده، كما قال في الشهداء: "أحياء عند ربهم ..." [5].

---

(1) آل عمران : ٥٥.
(2) النور : ٣٦.
(3) الشرح : ٤.
(4) الفتاوى للشيخ شلتوت، ص٦٣.
(5) تفسير المنار ٣/٣١٦.

وتأويل الرفع هنا برفع المكانة خلاف الظاهر لأن رفع عيسى عليه السلام اقترن به الجار والمجرور (إلى) و(إليه)، ومرجع الضمير فيهما إلى الله سبحانه وتعالى، فالآيتان صريحتان في رفع عيسى عليه السلام إلى الله سبحانه، وأما ما ذكروه من آيات أخرى فالرفع فيها لم يقترن به جار ومجرور، فاحتمل ما ذكر من معاني الرفع، فالرفع إليه سبحانه لا إلى سواه، وقد أيد ظاهر المعنى السنة المتواترة، وهي المفسرة للقرآن. ثم لو كان المراد بالتوفى الإماتة كما ذكروا، وبالرفع رفع روحه، لكان القول الثاني لا قيمة له، لأن رفع روح عيسى عليه السلام بعد موته إلى ربه –وهو نبى كريم– معلوم لا حاجة إلى ذكره[1].

وثبت رفعه بجسده وروحه وأنه عليه السلام في السماء فيما رواه البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية". [2]

ومع ثبوت ذلك يقول الأستاذ الإمام: "والطريقة الثانية أن الآية على ظاهرها وأن التوفى على معناه الظاهر والمتبادر: وهو الإماتة العادية، وأن

---

(1) انظر : منهج المدرسة العقلية في التفسير، ٧١١/٢.

(2) انظر: العقيدة الطحاوية، ص٥١٢، تفسير ابن كثير ٥٧٨/١، وقد بين ابن كثير

الرفع يكون بعده، وهو رفع الروح، ولا بدع فى إطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه، فإن الروح هى حقيقة الإنسان، والجسد كالثوب المستعار، فإنه يزيد وينقص، والإنسان إنسان، لأن روحه هىهى". [1]

وتأويل هؤلاء المحدثين لرفع عيسى عليه السلام برفع المكانة أو رفع روحه مخالف لظاهر الآيات ولما سيقت له، كما أنه مخالف لما صح فى المرفوع المتواتر من رفعه عليه السلام، وأنه سينزل إلى الدنيا فى نهايتها فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويمنع الجزية.

والسياق يؤكد رفعه عليه السلام بجسمه وروحه، لأنه لو كان عيسى عليه السلام قد مات فى الأرض ودفن، وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته –كما يزعم المنكرون– لما حسن ذكر الرفع فى مقابل نفى القتل والصلب، لأن الذى يناسب نفى القتل والصلب عنه هو رفعه حيا لا موته، بل إن قوله سبحانه وتعالى: "بل رفعه إليه" إنما ذكره لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه! ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب بل يجامعها، فإنهم لو قتلوه –فرضا– لرفعت روحه إلى الله كغيره من الأنبياء بل عامة المؤمنين، على أن فى أخباره

---

(1) المنار ١٧/٦.

وبشارته عز وجل بأنه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك، والذى يمكن أن يختص به عيسى عليه السلام هو رفعه حيا بجسده وروحه. [1]

وما يؤكد حياة عيسى عليه السلام أيضا ورفعه بجسمه وروحه إلى السماء قوله تعالى: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا" [2]، فقد ذكر المفسرون أن الضمير فى قوله: "قبل موته" له احتمالان: إما يرجع إلى عيسى عليه السلام، أو إلى الكتابى، أى قبل موت الكتابى سيؤمن بعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله وليس إلاها أو يؤمن بمحمد ﷺ. والتقدير الأول أن كل أهل الكتاب فى زمن نزول عيسى عليه السلام سيؤمنون به وأنه ليس بإله. وهذا القول هو اختيار جمهور المفسرين وما رجحه ابن جرير وابن كثير رحمهما الله.

قال ابن كثير بعد عرض أقوال المفسرين فى ذلك: "ثم قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام، ولا شك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآىفى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه، وتسليم من سلم لهم من

([1]) نزول عيسى وقتله الدجال. د/ محمد خليل هراس، ص١٤.

([2]) النساء الآية: ١٥٩.

النصارى الجهلة بذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حى، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... إلى أن قال: بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام، وبقاء حياته فى السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وخلت عن الحق". (١)

ويؤكد صحة عود الضمير فى "قبل موته" إلى عيسى عليه السلام أن الضمير قبله فى قوله: "ليؤمنن به" راجع إلى عيسى قطعا، فوجب أن يعود الضمير هنا "قبل موته" إليه أيضا لئلا يتفكك الكلام، كما أن الإيمان المخبر عنه إذا رجع الضمير على الكتابى فإنه إيمان لا ينفع أصحابه فى هذا الوقت ولا يخرجهم من الكفر ولا ينجيهم من النار، لأنه إيمان بعد معاينة الموت، فلا فائدة فيه وبالتالى فلا فائدة فى الإخبار به، كما أن الإيمان فى الآية مطلق فينصرف إلى حقيقته الشرعية، وهو الإيمان المعتد به الذى ينفع صاحبه ويخرجه من الكفر. (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٥٧٦/١ وانظر: البحر المحيط ١٢٨/٤، روح المعانى ١٨/٤.

(٢) انظر: نزول عيسى وقتله الدجال، ص٦٣.

وهكذا تبين أن الرفع فى الآية المقصود به هو رفع الجسد والروح لا رفع الروح فقط أو المكانة، وما دعا هؤلاء النفر من المحدثين إلى مخالفة الحق فى ذلك، وذهابهم إلى هذا التأويل المفرط إلا مباينة هذا الرفع لسنن الكون وقوانين العلم، وهى إله أهل هذا العصر! مع أن أصل وجود عيسى عليه السلام آية مخالفة لمعبودهم هذان فقد وجد بغير أب وتكلم فى المهد، وهو مخالف لسنن الطبيعة وقد ثبت بنص القرآن! ولو جرينا معهم فى رد ما يخالف السنن لأنكرنا كل ما أخبر به الله سبحانه من معجزات الأنبياء فى القرآن والسنة.

أمثلة لأثر النزعة العقلانية في علم العقيدة وأصول الدين :

نجم الصراع المشهور بين رجال العلم وتعاليم الكنيسة المخالفة للعقل والعلم في العصور الوسطى عن انتصار العلم، فأدى ذلك إلى النفور من معتقدات الكنيسة على أنها الدين الصحيح، فهربوا منها ومن الدين كله باعتباره مخالفاً للعقل وحرية العلم، وبنوا قواعد علومهم على أنها مبطلة ومخالفة لأصول الدين. وقد اتصل المسلمون بهذا العالم المغرور بالعلم وإنجازاته، الرافض للدين وقواعده، فراح فريق منهم يوفق بين أصول الدين وأحكام العقل وقواعد العلم، مثبتاً أن الدين الإسلامي لا يخالف ذلك، فلم ينضبط الميزان في

أيديهم فكان لصالح العقل وقواعد العلم غير الثابتة على حساب الدين وثوابتـــه، ومن الأمثلة على ذلك:

إنكار المعجزات : [1]

فكان من أصول منهجهم تحكيم العقل وتقديمه على أحكـــام الشـــرع إذا عارضته، والعقل لا يؤمن بما يقهره بل لابد له مـــن اقتنـــاع ذاتـــي، ولـــذلك فمعجزات الأنبياء ليست من أدوات إقناع العقل لأنها قاهرة له، كما أنهـــا قـــد تلتبس بأعمال السحرة والمشعوذين مما يؤدى إلى عدم التمييـــز بـــين النبـــوة الحقيقية وأدعيائها. كل ذلك أدى إلى إنكار معجزات الأنبياء أو تأويلها بما يقنع العقل ويتمشى مع قواعد العلم في نظرهم.

يقول محمد فريد وجدي مؤيداً ذلك: "ومما يدل على أن هذه القرون الأخيرة لا تروج فيها مسائل المعجزات تكذيب علماء أوروبا بكل المعجزات السابقة، وهو

---

(1) والمعجزة فى اللغة تعم كل أمر خارق للعادة، وكذلك الكرامة فى عرف أئمة أهل العلم المتقدمين. ولكن كثير من المتأخرين يفرقون فى اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبى، والكرامة للولى. وجماعهما: الأمر الخارق للعادة يجعله الله سبحانه برهانا وتأييدا لصدق النبى، ويعجز به الخصم عن التحدى، وقد ثبتـــت معجـــزات الأنبياء المتعددة بالتفصيل فى القرآن والسنة، وكذلك إجمالا ومنه ما رواه مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ما من الأنبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنمـــا كـــان الـــذى أوتيته وحيا أوحى الله إلى". مسلم، الإيمان، ٨٣٣/١، انظر: شرح الطحاوية، ص٤٩٤، القاموس المحيط، ص٥١٦.

وإن كان تهوراً منهم إلا أنهم مصيبون في قولهم إننا في زمان لا يجدى فيها للاعتقاد إلا النور العقلي والدليل العلمي"[١].

ويعد صاحب المنار أن حكاية القرآن لمعجزات الأنبياء كانت من أسباب إعراض علماء الإفرنج عن الإيمان بالقرآن: "ولولا حكاية القرآن لآيات الله التي أيد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان إقبال أحرار الإفرنج عليه أكثر، واهتداؤهم به أعم وأسرع لأن أساسه قد بنى على العقل والعلم ..." [٢].

ويثير الشكوك حول هذه المعجزات الكونية بقوله : "وأما تلك العجائب الكونية فهى مثار شبهات وتأويلات كثيرة في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها، وأمثال هذه الأمور تقع من أناس كثيرين في كل زمان ..." [٣].

ولذلك جرد هذا الفريق من العلماء نبوته صلى الله عليه وسلم من أى معجزة أخرى سوى القرآن، وسلكوا فيما نقل منها إما طريق إنكار صحتها، أو بتفسيرها بما يخرجها عن المعجزة، ويجعلها أمراً خاضعاً لقوانين الطبيعة وقواعد العلم الحديث.

---

(١) المدنية والإسلام، ص٧١.

(٢) تفسير المنار ١١/١٥٥.

(٣) المرجع السابق.

يقول هيكل منكراً معجزاته صلى الله عليه وسلم : "إن أكثر هذه المعجزات لا يصدقها العقل وندع الدين جانباً : ونقف عند سيرة صاحبه صلى الله عليه وسلم، فقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ما لا يصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة".

ويعلل رفضه لذلك بقوله:"وأما مضرة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم فقد أصبحت واضحة ملموسة، فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعى جانب الدقة العلمية في تمحيصها خدمة للحق وخدمة للإسلام ولتاريخ النبي العربي"[١].

ويقول أيضاً : "وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحديث أن حياة محمد كانت كلها إنسانية سامية، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من أصحاب الخوارق"[٢].

وصاحب المنار يرد على من اعترضوا على محمد حسين هيكل لتجريده نبوته صلى الله عليه وسلم من المعجزات في كتابه "حياة محمد" فيقول: "أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق

---

(١) حياة محمد لهيكل، ص٧٠.

(٢) المصدر السابق.

العادات، وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي ... بما أثبت بـــه أن القـــرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات، ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته، لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها، وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة ..." [1].

وإنكارهم المعجزات إتباعاً لرجال أوروبا لا يؤدى إلى إيمانهم بـــالقرآن على أنه كتاب الله المعجز وامتناعهم عن إثارة الشـــبه حولـــه، يقـــول الشـــيخ مصطفى صبري: "ثم ليعلم الذين يتنـــازلون عـــن معجـــزات نبينـــا الكونيـــة ويقصرون معجزته على القرآن، إرضاء لمنكري المعجزات والخـــوارق مـــن المستشرقين وتفضيلاً لموافقتهم في عقلية الإنكار على تجشم معارضـــتهم، إن القرآن مهما حبب إليهم وأعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم وإعجابهم مبلغ اعتبـــاره معجزة تثبت بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .. وما دام أناس من المسلمين وفيهم معالى مؤلف "حياة محمد" ينكرون معجزاته الكونية لا لعدم استنادها إلى الروايات الصحيحة، بل لكونها أيضاً مخالفة لسنة الكون، مخالفة للعلم، مخالفة لمقتضى العقل، فكيف ينتظر من المستشرقين الذين لا يدينون بالإسلام أن يقبلوا

---

(1) الوحي المحمدي، ص٦٢.

القرآن على أنه من المعجزات الخارقة، أعنى أنه كلام الله لا كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم..."[1].

والمعجزات التي ينكرونها بحجة مخالفة العقل، الصحيح أنها لا تخالفه، بل هي خارقة للعادة وليس للعقل، وهما مختلفان، فالمخالف للعقل مثاله أن يكون الشئ موجوداً وغير موجود في نفس الوقت مثلاً، والعادة مثالها أن لا ينكسر الزجاج برمى الحجر، أو لا تحول العصا ثعباناً، فالمعجزة التي جاء بها الأنبياء خارقة لأحكام العادة، وليست خارقة لأحكام العقل، لأنه لا يحكم ببطلان ما يخالف العادة، بل يؤمن بإمكانية عدم انكسار الزجاج إذا رمى بالحجر، وعدم حرق الإنسان إذا ألقى في النار، لأن كل ذلك ليس خارقاً لأحكامه، بل هو خارق للعادة وإن كان أمراً غير عادي، ثم يبحث العقل بعد ذلك في سبب خرق العادة مفرقاً بين كونه معجزة لنبى أو سحر لساحر أو شعوذة[2].

ويقول شارح الطحاوية: "فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك (المعجزات المادية) وإنما ينال منها بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه، ويستغنى عما أغناه، ويقدر على ما أقدره عليه من الأمور المخالفة للعادة

---

(1) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين نقلا عن منهج المدرسة العقلية، ١١١/٤.

(2) أنظر : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ٥٧٠/٢.

المطردة، أو لعادة أغلب الناس"[1]. وقد ثبت له معجزات مادية خارقة للعادة، وهي متعددة صحيحة السند مروية في الصحاح، كنبع الماء من بين يديه صلى الله عليه وسلم[2]، وتسليم الحجر عليه ﷺ[3]، وتكثير القليل[4] وغير ذلك.

" وقد مال بعض الباحثين إلى إنكار المعجزات الحسية بحجة أنها لا تتمشى مع نمط التفكير العقلى الحديث، ولا تتقبلها الفلسفات الحديثة، ولا مناهج البحث المعاصرة، وقد اعترف هؤلاء بالمعجزة القرآنية وحدها، لأنها محسوسة لأصل هذا العصر يمكنهم دراستها والحكم على أوجه الإعجاز فيها، وأما المعجزات الحسية التى وقعت للنبىﷺ فلا يمكن إخضاعها للدراسة، ولا تتقبلها الأعراف العلمية السائدة. ونظرا لأن المصادر الإسلامية الصحيحة نقلت أخبار المعجزات الحسية، فكان إنكارها فيه اتهام لشهود العيان من الصحابة رضوان الله عليهم بالكذب، أو بضعف العقل وخطل التصور، بحيث نقلوا أخبارا

---

(1) شرح الطحاوية، ص٤٩٥.

(2) ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك أنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر. فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوث فأتى رسول الله بوضوء. فوضع رسول الله فى ذلك الإناء يده. وأمر الناس أن يتوضئوا منه. قال فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه. فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم". مسلم كتاب الفضائل ٢٣٥/٧.

(3) فقد روى مسلم عن جابر بن سحرة. قال: "قال رسول الله ﷺ: إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ابعث. إنى لأعرفه الآن". صحيح مسلم ٢٣٢/٧.

(4) فقد روى أيضا عن أم مالك كانت تهدى للنبىفى مكة لها سمنا. فيأتيها بنوها فيسألون الأدم. وليس عندهم شئ. فتعمد إلى الذى كانت تهدى فيه للنبى. فتجد فيه سمنا. فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته. صحيح مسلم ٢٣٦/٧.

تصوروها صحيحة وليست كذلك. ولا يخفى ما فى الاتهامين من إجحاف ومجازفة وتناقض، فقد قبلنا من نفس شهود العيان ما يتعلق بالعقيدة والشريعة، وتعرفنا على أخبار النبىﷺ فلماذا قبلنا منهم رواياتهم فى هذا، وأنكرناها عندما تعرضت لأخبار المعجزات الحسية!، وإن كانت العلة أن العقل المادى يرفض المعجزات، فإنه يرفض الوحى كله ويرفض الإيمان بالله ورسالاته، فلا مناص للمؤمن بالغيب من قبول الروايات الصحيحة المتعلقة بالمعجزات الحسية"[1].

ومن هؤلاء أصحاب العقلانية من ينكر معجزات الأنبياء جملة حيث يقول: "وأما آيتهم على صدق دعوتهم فلا تخرج عن حسن سيرتهم وصلاح رسالتهم، إنهم لا يأتون بغير المعقول، ولا بما يبدل سنته ونظامه في الكون".

وينكر معجزات موسى في قوله تعالى " وأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً"[2]. يقول: "ويصح أن يكون الحجر اسم مكان، واضرب بعصاك الحجر معناه: اطرقه، واذهب إليه، والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه".

---

(1) الرسالة والرسول ، د/ كرم ضياء الغمرى، ص٧٣.

(2) سورة الأعراف، الآية ١٦٠.

وفي تفسير قوله تعالى: "فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * ونَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ"[1] يقول : "مثال من قوة حجته وظهور برهانه". وينكر معجزة إبراهيم عليه السلام في قوله: "يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم"[2]، يقول : "معناه نجاة من الوقوع فيها"[3].

وأما الملائكة والجن والشياطين فيقول عنهم: "الملائكة رسل النظام وعالم السنن، وسجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له". وأما إبليس فهو: "اسم لكل مستكبر على الحق، ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصى على الإنسان تسخيره"[4].

وهكذا وصل الحال بأصحاب الفلسفة العقلية إلى إنكار ما جاء صريحا من معجزات الأنبياء فى القرآن، بل إلى تأويل أصول العقيدة والدين من الإيمان بالملائكة والجن والشياطين، واعتبار كل ذلك رسل النظام وعالم السنن الكونية، فماذا بقى من الدين والعقائد بعد ذلك!

---

(1) سورة الأعراف، الآيتان ١٠٧-١٠٨.

(2) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(3) الهداية والعرفان لأبى زيد الدمنهورى، نقلاً عن التفسير والمفسرين ٢٠١/٣.

(4) المصدر السابق.

أمثلة لأثر النزعة العقلية في السنة ومحدثيها :

ومن مظاهر عبادة العقل في العصر الحديث جعله حكماً ومقياساً ومعياراً لقبول الحديث أو رفضه، وحكم العقل الصحيح لا يتعارض مع النقل الصحيح، ولكن كيف نقيس الغائب على الشاهد، وكيف نحكم العقل في أمور لا نعرف شيئاً عنها إلا بالنقل الصحيح؟ فالعقل المستعلى غير المنضبط، اللاهث وراء الأهواء والشهوات، اتخذ مقياساً لكل شئ، فرفض به الحديث الصحيح وإن كان متواتراً، لتناقضه بزعمهم مع حكم هذا العقل.

وظهر ذلك جليًا في أحاديث الغيبيات التي تعد أصل الإيمان، فقد جعل الله سبحانه أول صفات المتقين الإيمان بها قبل الفرائض، فقال تعالى:" ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ .."[1].

ومع ذلك أنكر ما ورد في السنة المتواترة من علامات الساعة كالمهدى المنتظر، والدجال، وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك لأنها ــ في زعمهم ــ أساطير مخالفة للعقل والحس والتجريب.

---

(1) سورة البقرة، الآيتان ٢-٣.

وقد بلغت الأخبار التي وردت في المهدى التواتر كما أشار إلى ذلك السيوطي وابن القيم والشريف الحسيني[1].

كما أن الحافظ ابن كثير قد حكى التواتر في أحاديث مجئ الدجال ورد على شبه من أنكره[2]. وكذلك طلوع الشمس من مغربها فقال: "فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل منه"[3].

ومع تواتر هذه الأدلة النقلية في أمارات الساعة نجد من يشكك في جميعها بشبهات عقلية تأثراً بصفة العقلانية الحديثة المنفلتة. يقول صاحب المنار: "ويرد من الإشكال على ما ذكر أن ما ورد من الأشراط الصغرى المعتاد مثلها التي تقع عادة بالتدريج لا يذكر بقيام الساعة، ولا تحصل به الفائدة التي من أجلها أخبر الشارع بقرب قيام الساعة، وأن ما ورد من الأشراط

---

(1) وحديث المهدى رواه الترمذى وجماعة من عبد الله بن مسعود قال:"قال رسول الله ﷺ لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى". والحديث صححه الترمذى، وبين الشوكانى أنه ورد فى المهدى خمسون حديثا، وقد بلغ حد التواتر. انظر : الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة، ص١١٢، المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، ص١٤٢، انظر: تحفة الاحوزى ٤٠٢/٦.

(2) وحديث الدجال مروى فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاث إذا خرجن، لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها. والدجال. ودابة الأرض". مسلم كتاب الإيمان ٨١٩/١٠، الفتح كتاب الفتن ٩٦/١٣، الفتن والملاحم للحافظ ابن كثير، ١٠٦/١.

(3) المصدر السابق.

الكبرى الخارقة للعادة يضع العالم به في مأمن من قيام الساعة قبل وقوعها كلها، فهو مانع من حصول تلك الفائدة ..." [1].

والجواب عن هذه الشبهة، أن ما قاله من عدم الفائدة من إيراد هذه العلامات –لأنه لا تذكر بقيام الساعة– غير مسلم، فقد تذكر بها من أيقن بكلام الحق سبحانه، وما زال العلماء والوعاظ يخفون الناس بذكر هذه العلامات وقرب قيام الساعة بظهورها، ودلالتها على صدق الرسالة والرسول ﷺ. وإذا ثبت الخبر بها فلا يضر وجود من لا يوقن بها ولا يتعظ بظهورها، شانها شأن غيرها مما ثبت فى القرآن والسنة ويخالفه ممن لم يرد الله له الهداية وانشغل عنه بدنياه.

ويشكك أيضاً في أحاديث خروج المهدي خاصة: "أما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيه أعسر، والمنكرون لها أكثر، والشبه فيها أظهر ..." [2].

ويجاب عن ذلك بأن ما قاله خلاف الحقيقة، فقد مر بأن أحاديث المهدى قد تواترت وسلمت بخروجه أمة الإسلام إلا ما شذ من المبتدعة، وليس فى

---

(1) تفسير المنار ٩/٤٥٠.

(2) المصدر السابق.

الأحاديث تعارض يضعفها، وقد جمع بينها المحدثون كـابن حجـر، ومحمـد صديق، والشوكاني والمباركفوري وغيرهم. [1]

ويشكك في أحاديث الدجال بقوله: "وما ذكر فيها مـن الخـوارق التـي تضاهي أكبر الآيات التي أيد الله بها أولى العزم من المرسلين أو تفوقها تعـد شبهة عليها كما قال بعض علماء الكلام ..." [2].

وما صاحب الدجال من خوارق فتنة للمنافق والكافر، ولا تضر المؤمن المطمئن القلب بربه، فليست بشبهة تمنع من قبول ما تواتر في شأن الـدجال، والله سبحانه يختبر عباده بما شاء.

ثم يتهم ناقل هذه الروايات ـ وإن كان ثقة ـ وينسبها إلـى الأسـاطير والإسرائيليات : "بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغشى المسلمين ليفسـد عليهم دينهم وسنتهم، وخدع به الناس لإظهاره التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله ..." [3].

وكعب الأحبار الذى اتهمه بالكذب وإفساد الدين ليرد أحاديثه، قد وثقـه أصحاب الشأن، وروى عنه أصحاب الصحيحين والسنن. قال عنه ابن حجـر:

---

(1) انظر: تحفة الأحوذى ٤٠٢/٦، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدى الساعة ص١١٢.

(2) تفسير المنار ٥٤/٩.

(3) المصدر السابق.

"ثقة من الثانية مخضرم"[1]. وذكره ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام، واتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه، ولا نجد له ذكراً فى كتب الضعفاء والمتروكين، وترجم له النووىفى تهذيبه وبين أنهم قد اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه. [2]

وما طعن فيه إلا بعض المغرورين بالعقل وحكمه، ليردوا ما رواه من أحاديث صحيحة لا توافق عقولهم ومناهجهم الدخيلة المستوردة.

وأحياناً يستخدم مع تضعيف الأحاديث تأويلها خلاف الظاهر، ومثال ذلك ما ورد في علامات الساعة من نزول عيسى عليه السلام، وقد بين العلماء أن الأحاديث في رفع عيسى ونزوله آخر الزمان متواترة كما أشار إلى ذلك الطبرى[3]، وابن كثير[4]، وابن حجر، وأبو حيان[5]، وصاحب الطحاوية وغيرهم[6].

فنجد الشيخ المراغى يؤول نزوله بقوله: "فزمان عيسى هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقييد

---

(1) تقريب التهذيب ١٣٥/٢، وانظر: الكاشف للذهبى ٩/٣.

(2) انظر: الحديث والمحدثون لأبى زهو ص ١٨١.

(3) جامع البيان للطبرى ٣٩٤/٣.

(4) تفسير القرآن العظيم ٥٧٨/١.

(5) البحر المحيط ١٢٦/٤.

(6) انظر : العقيدة الطحاوية ص٤٩٩.

بالرسوم والظواهر ، وأما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها، والقرآن أعظم هاد إلى الحكم والأسرار، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك"[1].

ويبين الشيخ رشيد منهج أستاذه في ذلك: "ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان: أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعى لأن المطلوب فيها هو اليقين، وليس في الباب حديث متواتر.

وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها،والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها " [2].

وتأويل نزول عيسى عليه السلام بغلبة روحه وسر رسالته على الناس، يعد من قبيل تأويل الباطنية المفرط المخالف لأدلة اللغة والشرع من القرآن والسنة وكلام السلف. فمن القرآن قوله تعالى: "وإنه لعلم للساعة" [3]. قال ابن كثير

---

(1) تفسير المراغي ١٧٠/٣.

(2) تفسير المنار ٣١٧/٣.

(3) الزخرف الآية: ٦١.

رحمه الله: "بل الصحيح أن (الضمير فى إنه) عائد على عيسى عليه السلام، فإن السياق فى ذكره. ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته"، أى قبل موت عيسى عليه السلام، ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا. ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: "وإنه لعلم للساعة"، أى: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة ... وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطاً" [1].

وهذا التأويل مخالف كذلك لمعنى الأحاديث الواردة وسياقها، فهل روح الشريعة وأسرارها وحكمها هىالتى ستكسر الصليب وتقتل الخنزير وتضع الجزية كما جاء فى حديث نزوله المتواتر! وإذا كان الدجال رمزا للخرافات والقبائح كما ذكروا، فلماذا ذكر فى الحديث أوصافه من أنه أعور العين، وأنه جعد، وأنه أزهر اللون أشبه الناس به عبد العزة بن قطن ... الخ [2]

وقد نقل العلامة محمد بن أحمد السفارينى إجماع الأمة على نزوله فقال: "وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد

([1]) تفسير ابن كثير ٥٧٨/١.

([2]) رواه مسلم فى كتاب الفتن وأشراط الساعة ٣١٦/٨.

إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها". [1]

وقال الشيخ الشنقيطى: "يجب شرعا اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا زال حيا إلى الآن، وأنه لابد أن ينزل فى آخر الزمان حاكما بشرع نبينا ﷺ ومجاهدا فى سبيل الله، كما تواتر عن الصادق المصدوق، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تبارك وتعالى أخبر به فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وأن اليهود ما قتلوه، وأنه تعالى رفعه، كما قال تعالى: "وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه". وقد وردت الأحاديث المتواترة -كما سبق- أنه ينزل فى آخر الزمان حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وغير ذلك من الأحاديث المصرحة بنزوله وبمدته حياً فى الأرض بعد نزوله، ولم يصح حديث بموته تمكن من معارضة ما صح بالتواتر بالنزول فى آخر الزمان. وإذا أخبر القرآن أنه رفع ولم يقتل، وبين النبىﷺ لنا أنه سينزل فى آخر الزمان، وفسر لنا أحواله بعد نزوله تفصيلا رافعا لكل احتمال، وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم ... وكل إيراد عليه

([1]) لوامع الأنوار البهية ٢/٩٤ نقلا عن كتاب نزول عيسى ص٥٢.

من الملاحدة والجهلة باطل لا ينبغى لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه".[1]

وقال الشيخ الغمارى بعد إيراده لأحاديث نزول عيسى عليه السلام: "فهذه ستون حديثا يرويها عن النبىﷺ ثمانية وعشرون صحابيا وثلاثة تابعين بألفاظ مختلفة وأساليب متعددة، كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحا لا يحتمل تأويلا ولا روغانا، فهل يجوز للمتعلم –بل العالم– أن يشطب على هذه الأحاديث بجرة قلم"[2].

وأما قول الإمام محمد عبده بأن ما ورد فى نزول عيسى فهو حديث آحاد فهو قول مخالف للحقيقة، وقد مضى نقل علماء الحديث ووصفهم له بأنه متواتر.وأما قوله بأن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، فهو قول أيضا بخلاف التحقيق، لأن العلماء اختلفوا فى ذلك على أقوال:

الأول: أن أحاديث الآحاد يفيد الظن، وهو قول الجمهور من الأصوليين، ولكنهم اختلفوا هل يفيد العلم إذا انضمت إليه قرائن أم لا، والمحققون على أنه يفيد العلم إذا انضمت إليه، وهو المختار كما ذكر ابن حجر فى شرح النخبة.

الثانى: أن خبر الواحد العدل يفيد العلم اليقينىالنظرى لنفسه من غير انضمام

([1]) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم ١/٢٣١.

([2]) نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال ص٧٠.

قرائن، وغلى هذا ذهب أحمد بن حنبل وحكى عن مالك بن أنس، واختاره أيضا ابن حزم ونقله عن المحاسبى وداود بن على الظاهرى. [1]

فالقول المختار أن خبر الآحاد إذا احتف به قرائن أفاد اليقين وثبت به العقائد، والقرائن مثل حديث الشيخين والحديث المستفيض، والمسلسل بالحفاظ وغير ذلك، وهو اختيار الإمام أحمد وابن حزم وغيرهما من أصحاب الحديث كالبخارى ومسلم، فإنهم يستندون فى إثبات الصفات والعقائد السمعية على أحاديث الآحاد الصحيحة. وبذلك يكون قول صاحب المنار بأنه لا يصح الاعتماد على أحاديث الآحاد فى شأن الغيبيات قولا مردودا، فإن كتب الحديث والعقائد مملوءة بالاستدلال بأحاديث الآحاد فى شأن الغيبيات وأشراط الساعة والثواب والعقاب وأحوال القيامة وغير ذلك[2].

([1]) انظر: شرح النخبة لابن حجر ص٣٧.

([2]) انظر: نزول عيسى وقتله الدجال، ص٧٣.

الفصل الثالث

رواد المدرسة العقلية الحديثة

وفيه عرض لأعلام هذه المدرسة وما تبنوه من أفكار وأهدافهم لتحقيق الإصلاح والتجديد في مصر، وما أُخذ عليهم سواء في الفكر أو التطبيق.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: السيد جمال الدين بن السيد صفتر الأفغاني.

المبحث الثاني : الشيخ محمد عبده.

المبحث الثالث : الشيخ محمد رشيد رضا.

المبحث الأول

السيد جمال الدين بن السيد صفتر الأفغاني

اسمه ونسبه:

ولد السيد جمال الدين في قرية أسعد آباد من قرى كنر[١]سنة أربع وخمسين ومائتين وألف من الهجرة ،ويقال أنه من بيت عظيم في بلاد الأفغان يرتقي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد، وتقيم في خطة كنر من أعمال كابل، تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام، ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الأفغانيين، يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف.[٢]

وقد طعن البعض في صحة هذا النسب للسيد الأفغاني،فمعظم الكتابات التي تناولته تحدثت عن محاولة تعمية الأفغاني لنسبه وأصله ،فهذا محمد محمد

---

(١) كِنَّرُ:بالكسر،وتشديد ثانيه وفتحه، وآخره راء:قرية كبيرة من بغداد من نواحي دجيل [ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م ج٤ ص٤٨٣].

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:عبد الرزاق بن حسن البيطار ص٤٣٩،وينظرالإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص٧.

حسين في كتابه الإسلام والحضارة الغربية يقول:"أول ما يريب الباحث في أمر الأفغاني تعميته أصله ونسبه ،فقد زعم أنه أفغاني سني ثم أثبت البحث الحديث بأدلة لا تقبل الشك أنه كان إيرانيا شيعيا،وزعم أنه شريف النسب حسيني الجد،وهو زعم لم يقم عليه دليل،والذي يكذب على الناس في بلده خليق أن لا يصدق في نسبه."(١)

ومن أهم الأسباب التي قيلت في ذلك هو أن: السيد جمال الدين كان يهدف من وراء ذلك أن يخفي تشيعه في البلاد العثمانية التي تنقل فيها وأهلها سنة حنفية كالأفغان.(٢)

ولن نطيل في تحقيق صحة نسب السيد جمال الدين الأفغاني ،وهل هو إيراني شيعي أم أفغاني سني ،ولن نقول إلا ما ذكره الدكتور فهد الرومي حين قال :"ثم نقول بعد هذا أي فضل للرجل بهذا النسب عند من دينه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]."(٣)

نشأته العلمية:

---

(١)الإسلام والحضارة الغربية :محمد محمد حسين دار الفرقان ص٦١،وينظر،الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص٧.

(٢)الإسلام والحضارة الغربية :محمد محمد حسين ص٦١

(٣)منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص٧٦

انتقل السيد جمال الدين بانتقال أبيه إلى مدينة كابل، وفي السنة الثامنة من عمره أجلس للتعلم، وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته، وإشراق في قريحته، وذكاء في مدركته، فأخذ من بدايات العلوم، ولم يقف دون نهاياتها، تلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص، ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف، ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة وعلوم عملية رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك، ومنها نظريات الطب والتشريح، أخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين، على الطريقة المعروفة في تلك البلاد، وعلى ما في الكتب الإسلامية المشهورة، واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه. (١)

عرض له السفر إلى البلاد الهندية، فأقام بها سنة وبضعة أشهر، ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الأوربية الجديدة، وأتى بعد ذلك إلى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره إليها نحو سنة، وهو ينتقل من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف من الهجرة، فوقف على كثير من عادات الأمم التي مر

---

(١)ينظر:تاريخ الأستاذ الإمام :محمد رشيد رضا ج١ ص٢٧-٢٨،الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص٨،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي ص٧٩

بها في سياحته، واكتنه أخلاقهم، وأصاب من ذلك فوائد غزيرة، ثم رجع بعد أداء الفريضة إلى أفغانستان.[١]

حياة الشيخ في أفغانستان:

بعد رجوع السيد جمال الدين الأفغاني إلى أفغانستان التحق بخدمة الأمير الحاكم محمد خان،وسار في جيشه ولازمه في حصار وفتح هراة[٢] التي كان يحتلها ابن عم الأمير وصهره السلطان أحمد شاه.

ولما توفي محمد خان عام ١٨٦٤ خلفه ابنه شير على ،ونشبت الحرب بينه وبين إخوته الثلاثة واندلع لهيبها ،وانضم جمال الدين إلى محمد أعظم أحد هؤلاء الأخوة وقد ذاق حلاوة النصر ومرارة الهزيمة مرات إلى أن انتهى الأمر إليه فاتخذ جمال الدين كبيرًا لوزرائه.[٣]

وكان جمال الدين حينذاك في السابعة والعشرين،ولم تلبث الحرب أن تجددت مرة ثانية وناصر الإنجليز الأمير شير على وأمدوه بالمال فظفر بأخيه واضطره إلى الفرار من البلاد ووفاه أجله بعد وقت قصير.ولم يجاهر الأمير

---

(١)ينظر:تاريخ الأستاذ الإمام :محمد رشيد رضا ج١ ص٢٧-٢٨،الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص٨،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي ص٧٩

(٢)هراة :من أمهات مدن خراسان، تقع قرب بوشنج، وهي اليوم من مدن أفغانستان. وإليها ينسب كثير من العلماء منهم أبو عاصم محمد بن أحمد الهروي المتوفي سنة ٤٥٨ هـ، وغيره من العلماء.[ينظر:معجم البلدان :ياقوت الحموي ج٥ ص٣٩٦].

(٣)ينظر:الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص٨،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي ص٧٩، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي د. محمد البهي ص٦٧.

الجديد جمال الدين بالعداوة ولم يمسسه بسوء،وذلك لأنه كان سيدا منسبًا ذا سلطان على العامة،ولكنه أضمر له الشر،فاستحسن جمال الدين مبارحة البلاد واستأذنه للحج مرة ثانية فأذن له وسافر من أفغانستان عام ١٨٦٩م ،واتجه إلى الهند .[١]

رحلاتـــه:

وبعد خروجه من أفغانستان ووصوله إلى الهند أكرمته حكومتها دون أن تتيح له الاشتغال بالسياسة أو مبادلة الرأي مع زعماء المسلمين فلم يقم أكثر من شهر ،ثم واصل السفر في باخرة من بواخر الحكومة إلى السويس وانتقل منها إلى القاهرة ليمضي بها أربعين يوماً ،وتردد على الجامع الأزهر خلال مدة إقامته فيها ،وخالطه كثير من الأساتذة والطلاب وحاضر من تردد منهم على محل إقامته، وكان حينذاك قد تحول عن الحجاز عزمه ،وتعجل بالسفر إلى الأستانة.[٢]

في الأستانة :

وعند وصوله إلى الأستانة أكرم السلطان عبد الحميد وفادته إكرامًا بالغا،ورحب به العلماء وأصحاب المناصب السامية وبدأ كعادته يمتزج في

---

(١) ينظر:الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص٨،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي ص٧٩.

(٢) الإسلام والتجديد في مصر:تشالز آدمس ص٨

حمية بحياة الدوائر التي فتحت له صدرها ،ولم يضع فرصة لإعلان آرائه وإذاعة تعاليمه فما لبث أن علا ذكره وعظم نفوذه.

ولكن هذا أحفظ عليه شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي وأثار في صدره الغيرة والحسد ،وفي أواخر عام ١٨٧٠م دعاه مدير دار الفنون أو الجامعة التركية ليحاضر الطلاب في الحث على الصناعات شبه فيه المعيشة الإنسانية بجسد حي وأن كل صناعة بمنزلة عضو منه فشبه الملك بالمخ والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين وغير ذلك ثم قال : ولا حياة لجسد إلا بروح وروح هذا الجسم إما النبوة وإما الحكمة.(١)

مما أهاج عليه شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي وعددًا من العلماء والوعاظ في المساجد محتجين على جمال الدين بأنه جعل النبوة صنعة،ومع أن جمال الدين احتاط للأمر واستوثق من رضى الكثيرين من أصحاب المناصب السامية عن خطابه قبل إلقائه ،فإن شيخ الإسلام تمسك ببعض العبارات التى وردت به ،واتهمه باستعمال عبارات منافية للدين ماسة بحرمته ،ولهجت الصحف بذكر ذلك،وأكثرت من الكتابة فيه،وانبرى جلال الدين في الرد عليها

(١) ينظر:تاريخ الأستاذ الإمام :محمد رشيد رضا ص٣٠-٣١، الإسلام والتجديد في مصر:تشالز آدمس ص٨

فعظم الأمر حتى طلبت إليه الحكومة التركية مغادرة البلاد تسكيناً للخواطر،فرحل عنها إلى مصر. (١)

في القاهرة:

وافى القاهرة في ٢٢ مارس سنة ١٨٧١م ،ولم تكن له عزيمة على الإقامة بها طويلاً ولكن رياض باشا الذي كان ناظر النظار لعهده جعل الحكومة المصرية تجري عليه عشرة جنيهات في الشهر تقديرًا لفضله وإجلالا لمكانته،فاستماله هذا إلى الإقامة في مصر.(٢)

ولما ذاع نبأ وصوله التف حوله كثير من طلبة العلم المجدين ،فقرأ لهم بعض الكتب العالية في الكلام والفلسفة وأصول الفقه والهيئة والتصوف،ثم وجه عنايته إلى إعداد جيل من الكتاب الناشئين ليذيعوا في الناس آراءه الجديدة فحمل تلامذته المبرزين على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول في الصحف وولى وجهه بعد هذا شطر السياسة المصرية،وبذل جهدًا منقطع النظير في تنبيه البلاد إلى مضار التدخل الأجنبي في شئونها وكشف عن سوءات الرقابية

---

(١) ينظر:الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص٩،الإسلام والحضارة الغربية محمد محمد حسين ص٧٢،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي ص٧٩.

(٢) ينظر:المراجع السابقة ص٩، ص٧٩.

الأجنبية التي فرضت عليها،ولم تكتم مقالاته في الصحف عداءه للإنجليز وظل نشاطه متصلاً نحو ثمانية أعوام. (١)

وكان مما لا مفر منه أن يحدث بموقفه هذا المعارضة له،فقد قاوم العلماء المحافظون بعض آرائه، واتخذوا سبيلاً للطعن عليه من قراءاته للفلسفة التي كانت الدوائر المحافظة تحرم دائما النظر فيها وتعدها عدوة للدين الصحيح.

وأثارت أعماله السياسية شبهات الحكومة في نولياه ورابت على وجه خاص الموظفين البريطانيين وكانت مصر حينذاك قد أخذت شئونها المالية تتدهور في سرعة وأشرفت على الإفلاس ،فأدي هذا إلى التدخل الأوربي ثم إلى عزل الخديوي إسماعيل الذي أسرف كثيراً في صبغ البلاد بالصبغة الأوربية وانتهت جهوده بهذه الخاتمة السيئة وخلفه ابنه توفيق في ٢٥ يونية سنة ١٨٧٩م. (٢)

وكانت عناصر التحرير التي نشر لواءها جمال الدين ،وقوى سلطانها في البلاد تتوسم إنفاذ إصلاحات عظيمة على يدي الخديوي توفيق ويظهر أنه قبل ارتقائه إلى العرش كان قد عاهد جمال الدين وخاصته على أنه إذا آل إليه

---

(١)ينظر:الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص٩،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :فهد الرومي ص٧٩.

(٢)الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص١٠،ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:عبد الرزاق بن حسن البيطار ص٤٣٩

الأمر أيدهم في جهودهم الإصلاحية،ولكنه لم يكد يرتقي العرش حتى أصدر أمره في سبتمبر سنة ١٨٧٩م بإخراج جمال الدين من مصر هو وتابعه الفارسي المخلص أبو تراب ففارق مصر إلى الهند. (١)

في الهند :

أقام في بالهند في حيدر آباد ،وهناك صنف بالفارسية كتابه :"**الرد على الدهريين**"وهو المصنف الوحيد الذي كتب له البقاء من دون سائر مصنفاته المبسوطة ،وقد دافع فيه عن الإسلام ورد كيد المتهجمين عليه سافر بعدها إلى لندم ثم منها إلى باريس.(٢)

وفي باريس:

أقام في باريس ما يزيد عن ثلاثة سنوات عهدت "**جمعية العروة الوثقى**" فيها أن ينشئ جريدة "**العروة الوثقى**" فاتصل بتلميذه الإمام محمد عبده ،وقد كان منفياً في سوريا فأصدرا الجريدة ،وقد كان السيد جمال الدين مديرًا لسياستها،والشيخ محمد عبده رئيسًا لتحريرها سنة ١٣٠١ه-١٨٨٧م؛ولكن

---

(١)الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص١٠،ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:عبد الرزاق بن حسن البيطار ص٤٣٩

(٢)الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص١٠،ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر:عبد الرزاق بن حسن البيطار ص٤٣٩

الجريدة لم تلبث سوى سبعة اشهر وأيام ثم توقفت لمحاربة الاستعمار البريطاني لها ،وعاد محمد عبده إلى سوريا ثم إلى مصر معتزلاً السياسة.(١)

***أهداف السيد جمال الدين الأفغاني لتحقيق الإصلاح :**

تلون نشاط الشيخ جمال الدين الأفغاني في مجال الإصلاح باللون السياسي العام،الذي كان ينوي به تحقيق غاياته ،فقد خيل إليه كما قال المستشرق تشالز آدمس:"أنها أسرع الطرق وآكدها في تحرير الشعوب الإسلامية وتغذيتها بالحرية الضرورية لتنظيم شئونها؛أما وسائل الاصلاح التدريجي والتعليم فكان يرى أنها بطيئة جدا غير محققة العاقبة." (٢)

على أية حال ؛فإن كان هدف السيد جمال الدين الأفغاني من وراء الثورات السياسية هو الإصلاح الديني ،فإن هدفه من تحقيق الإصلاح الديني يتبلور في الآتي:

أولاً:كان أهم أهداف هذا النشاط وأساسه الذي يقوم عليه هو جعل"القرآن" والقرآن وحده هو المصدر الذي يجب أن يلتف حوله الجميع ،فيقول:"لا ألتمس بقولي هذا –في الدعوة إلى الوحدة– أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصًا واحدًا، فإن هذا ربما كان عسيرًا، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم

---

(١)ينظر:تفسير المنار ج١ ص١١ ،منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير :د/ فهد الرومي ص٨١

(٢)الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص١٥

القرآن، ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع، فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه." (١)

ثانيًا: كما كانت الغاية التي يرمي إليها جمال الدين وأهم الأغراض من جميع جهوده التي لا تعرف الكلل ومن إثارته للنفوس وتهييجه المتواصل للناس هو **توحيد كلمة الإسلام ،ولم شمل المسلمين في سائر أقطار العالم في حوزة دولة واحدة تحت ظل الخليفة الأعظم لا يشاركه في الحكم أحد**،كما كانت الحال في أيام الإسلام المجيدة وعصره الذهبي ،وقبل أن توهن منه الفرقة والانقسام،وقد بانت أقطار المسلمين غارقة في وهدة الجهل واليأس فأصبحت فريسة للإعتداء الأوربي.(٢)

يقول الدكتور محمد البهي:" كان جمال الدين يتحدث عن "وحدة المسلمين" مرة، وعن "حكومات إسلامية مستقلة يرتبط بعضها ببعض في "شبه اتحاد" مرة آخرى؛ ومع ذلك فالشيء الذي لم يتغير عنده هو الدعوة إلى الأخذ بتعاليم الإسلام،سواء في قيام الحكومة الواحدة أو في ارتباط الحكومات المختلفة. (٣)

يقول المستشرق تشارلز آدمس:" قال جورجي زيدان المؤرخ السوري وبعد أن قرر:"أن الغرض الذي كان جمال الدين يصوب نحوه أعماله والمحور

---

(١)الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي :د/ محمد البهي ص٦٤

(٢)ينظر:الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص١٥

(٣)الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي :د/ محمد البهي ص٦٦

الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الإسلام، فيقول:"إنه قد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من أجله فلم يتجذ زوجة ،ولا التمس كسبًا؛ ولكنه مع ذلك لم يتوفق إلى ما أراده ،فقضى ولم يدون من بنات أفكاره،إلا رسالة في نفي مذهب الدهريين،ورسائل متفرقة في مواضع مختلفة قد تقدم ذكرها ولكنه بث في نفوس أصدقائه ومريديه روحًا حيه،حركت هممهم وحددت أقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع باعمالهم."(١)

ومما قوى هذا الفكر عند السيد جمال الدين الأفغاني أنه كان يرى أن الإسلام –في جميع المسائل الجوهرية–دين عام للعالم أجمع قادر تمام القدرة بما فيه من قوة روحية على ملاءمة الظروف المتغيرة في كل جيل. (٢)

ثالثًا: الدعوة إلى التعجيل بحياة إيجابية متكاملة داخل البلاد الإسلامية تكون أقوى،أو على الأقل تسير جنبا إلى جنب لما عليه الغرب ،مع الدعوة إلى مكافحة العيوب الجزئية الداخلية،وهي عيوب نشأت عن إهمال الإسلام بسبب ما تراكم عليه من غبار!! (٣)

فقد كان السيد جمال الدين الأفغاني–لهذا الاتصال المباشر بالغربيين– يضع أمام سامعيه "مثلا منظورًا" من الحياة يريد أن يصل إليه المسلمون،ولكن عن

---

(١)الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص١٩

(٢)ينظر:الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص١٥

(٣)ينظر:الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي :د/ محمد البهي ص٦٢-٦٣

طريق التمسك بإسلامهم الذي أودع في كتاب الله.وليس عن طريق ذاك الذي شوهته العقول المغرضة وحرفته الألسنة الملتوية!! [١]

يتحدث عن أخذ ما عند الغرب من حضارة ومدنية وعلم؛ ولكن على أساس أن يكون ذلك في تلاؤم مع الإسلام؛أو لأن الإسلام يدعو إليه. [٢]

ويتحدث عن مقاومة الاستعمار الغربي وبالأخص عن مقاومة الاستعمار الإنجليزي،ولكنه في حديثه عن ذلك يتكئ على الإسلام، ويطلب تحقيق تعاليمه.[٣]

***ما يؤخذ على دعوة الشيخ جمال الدين الأفغاني:**

طعن البعض في جهود السيد جمال الدين الأفغاني للأسباب الآتية:

أولاً:الدعوة إلى توحيد الأديان:

قال فضيلة الشيخ محمد بن سعيد القحطاني فيما نقله عن خاطرات الشيخ جمال الدين الأفغاني:" وهو أول من حمل راية الدعوة إلى زمالة الأديان فهو يقول في خاطراته بعنوان "نظرية الوحدة" ما نصه: "وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية وإذا

---

(١)الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي: د/ محمد البهي ص٦٦.

(٢)المرجع السابق ص٦٢-٦٣.

(٣)الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي: د/ محمد البهي ص٦٢-٦٣ص٦٦.

نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها وأنه بهذا الاتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة ،وأخذت أضع لنظريتي هذه خططاً وأخط أسطراً وأحبر رسائل للدعوة لكل ذلك، وأنا لم أخالط أهل الأديان كلهم عن قرب وكثب ولا تعمقت في أسباب اختلاف أهل الدين الواحد وتفرقهم فرقاً وشيعاً وطوائف."(١)

ثانياً: تقليل السيد جمال الدين من شأن السلف الصالح وأئمة المذاهب الفقهيـــة؛ بل واعتبار ما كتبوه تراكمات تحـــول بـــين القـــرآن الكـــريم وبـــين عقـــول الأمة،فيقول:"القرآن وحده سبب الهداية والعمدة في الدعاية أما ما تراكم عليـــه وتجمع حوله من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم فينبغي أن لا نعول عليه كوحي وإنما نستأنس به كرأي ... "(٢)

---

(١)الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي الناشر: دار طيبة، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ص٣٤٦

(٢)جمال الدين الأفغاني:عبدالقادر المغربي ص ٦٢ – ٦٣،ينظر:موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت ج٤ ص٢٤٣.

كما يقول"فالتواتر والإجماع وأعمال النبي المتواترة إلى اليوم هي السنة الصحيحة التي تدخل في مفهوم القرآن وحده والدعوة إلى القرآن وحده."[١]

ثالثًا:اشتراك السيد جمال الدين في النشاط المعروف باسم "الماسونية الصهيونية":

يقول الدكتور محمد محمد حسين :" واعتبر البعض أنه كان من وراء جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده قوتان كبيرتان تعملان على ترويج آرائهما وإعلاء ذكرهما ،وهما الماسونية –قمة الأجهزة الصهيونية السرية– والاستعمار،وقد نجحت هاتان القوتان في تدعيم زعامتهما الفكرية والدينية في المجتمع الإسلامي كله."[٢]

***مؤلفات الشيخ جمال الدين الأفغاني:**

لقد كان الغالب على نشاط السيد الأفغاني هو النشاط السياسي فلم يكثر من التصنيف اعتمادًا على ما كان يبثه في نفوس العاملين وانصرافًا إلى الدعوة بالسر والعلن ،وأنه إنما يتناول ما يتناول من العلم في دروسه ما يدفع به عجلة السياسة خطوة نحو أغراضه وأهدافه، وقد تعرض له في أثناء حديثه آية قرآنية

---

(١)جمال الدين الأفغاني: عبدالقادر المغربي ص ٦٢ – ٦٣

(٢)الإسلام والحضارة الغربية :محمد محمد حسين ص٨٠

يستشهد بها لتقوية رأيه ثم يذهب في تفسيرها تفسيراً يقتصر فيه على الجانب الذي يتكلم فيه من غير استقصاء لمعانيها. [١]

ومن ثم فلم يكن له تفسير مستقل ؛وإنما كان تفسيره آيات متناثرة بين ثنايا مقالاته، وله من المؤلفات:(تاريخ الأفغان)مطبوع و(رسالة الرد على الدهريين)مطبوعة،وقد ترجمها إلى العربية تلميذه الشيخ محمد عبده،وقد ألفها الشيخ بعد خروجه من مصر ذاهبًا إلى الهند عام١٨٧٩م ،وهو المصنف الوحيد الذي كتب له البقاء من دون سائر مصنفاته المبسوطة ،وقد دافع فيه عن الإسلام ورد كيد المتهجمين عليه.[٢]

ومن أهم ما كتب عن السيد جمال الدين الأفغاني كتاب(خاطرات جمال الدين الأفغاني)مطبوع ،وقد جمع فيه محمد باشا المخزومي كثيرًا من آرائه ،وكتاب (جمال الدين الأفغاني باعث النهضة الفكرية في الشرق) ولمحمد سلّام مدكور ،وهو مطبوع أيضًا[٣].

***وفاته:**

---

(١)موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف الناشر:موقع الدرر السنية على الإنترنت ج٤ ص٢٤٣

(٢)الإسلام والتجديد في مصر :تشالز آدمس ص١٠

(٣)الأعلام:الزركلي ج٦ ص١٦٨

مكث جمال الدين في الأستانة زهاء أربعة أعوام حتى داهمه السرطان في فكه الأسفل فمات –رحمه الله– في سنة ١٨٩٧م، وقال طبيبه الخاص أن شدة ولع الأفغاني بالسيجار الإفرنجي وشربه للشاي وتناوله للطعام مالحاً كان من مسببات السرطان. [١]

المبحث الثانى

الشيخ محمد عبده

***مولده ونشأته العلمية:**

ولد في أواخر سنة (١٢٦٥ ه – ١٨٤٩م)؛ في شنرا (من قرى الغربية بمصر)ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) لم يتعلم محمد عبده القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من عمره وقد كتب عن بداية ذلك :فقال :"تعلمت القراءة

(١)ينظر:منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص١٠٧،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي محمد البهي ص٩٠

والكتابة في منزل والدى ،ثم انتقلت إلى دار حافظ القرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدته حتى أتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ."[١]

ثم بعد ذلك انتقل إلى المسجد الأحمدى بطنطا ليتعلم التجويد ومكث سنة ونصف لم يفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فيها ،فقد كان تحفظه على طريقتهم من ناحية :"إلقاء المعلم ما يعرفه أو ما لا يعرفه بدون أن يراعى المتعلم ودرجة استعداده للفهم ."[٢]

ثم انتقل إلى الأزهر في منتصف شوال سنة ١٢٨٢ه،وقد عانى من نفس طريقة التعليم في الأزهر." [٣]،وقد كان لخاله الشيخ درويش أثر كبير في تحبيبه في العلم ،فداوم على طلب العلم على شيوخه فكان خاله يسأله "ما درست المنطق؟ ما درست الحساب؟ ما درست شيئًا من مبادئ الهندسة ؟ولقد تلمس هذه العلوم على شيخه جمال الدين الأفغانى في شهر المحرم سنة ١٢٨٧هـ-١٨٦٩م ،فتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية."[٤] .

---

(١)تاريخ الأستاذ الإمام :رشيد رضا ج١ ص٢٠،الأعلام:الزركلي ج٦ ص٢٥٢

(٢)ينظر تاريخ الأستاذ الإمام :رشيد رضا ج١ ص٢٠، الأعلام :الزركلى ج٦ ص٢٥٣-٢٥٤،الإسلام والتجديد في مصر :تشارلز آدمس ص٢٠

(٣)تاريخ الأستاذ الإمام ج١ ص٢٠،ينظر الإمام محمد عبده :د/محمد محمد البهى ص١٠٣

(٤) ينظر :تاريخ الأستاذ الإمام :رشيد رضا ج١ ص٢٦، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر :عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٥هـ) ص٤٤٠-٤٤١

عرض محمد عبده نفسه على لجنة الامتحان في الأزهر لنيل شهادة العالمية في سنة ١٢٩٤ه- ١٨٦٧م فحصل عليها ."[١]

وشارك في مناصرة الثورة العرابية، فسجن ثلاثة أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام،سنة ١٢٩٩ هـ -١٨٨١م ،وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر فعاد سنة ١٣٠٦ هـ -١٨٨٨م ،وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارًا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ ،واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. [٢]

***أهداف مدرسة الشيخ محمد عبده لتحقيق الإصلاح الديني في مصر:**

يعتبر الكثيرون "الإمام محمد عبده" واحدًا من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث،وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛كما يعتبروه من أهم من ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون.

---

(١)تاريخ الأستاذ الإمام :رشيد رضا ج١ ص١٠٢-١٠٣

(٢)ينظر:الأعلام:الزركلي ج٦ ص٢٥٢

هذا ويصور الشيخ "محمد عبده" أهـداف تفكيـره بقلمـه الخـاص كمـا يلي،فيقول:"وارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

- **الأول:**تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفها إلى ينابيعها الأولى، واعتباره – الدين– ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه." (١)

كما يقول:"وقد جهر الإسلام بأن الإنسان لم يخلق ليقاد بالزمام ،ولكنه فطر على أن يهتدي بالعلم والأعلام،أعلام الكون ودلائل الحوادث،وإنما المعلمون منبهون ومرشدون،وإلى طريق البحث هادون." (٢)

وعند تفسير الشيخ لقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ من سورة البقرة [البقرة: ٢٤٢] يقول:"وأين أهل التقليد من هدي القرآن؟ هو يذكر لنا الأحكام بأسلوب يعدنا للعقل، ويجعلنا من أهل البصيرة وينهانا عن التقليد الأعمى، وهم يأمروننا بأن نخر على كلامهم وكلام أمثالهم صما وعميانا، ومن حاول منا الاهتداء بالكتاب العزيز وما بينه من السنة المتبعة أقاموا عليه النكير، ولعله لا يسلم من التبديع والتكفير، يزعمون أنهم

---

(١) تاريخ الإمام :رشيد رضا ج١ ص١١، ١٢

(٢) رسالة التوحيد:محمد عبده دار الكتاب العربي ص٨٢

بهذا يحافظون على الدين وما أضاع الدين إلا هذا، فإن بقينا على هذه التقاليد لا يبقى على هذا الدين أحد، فإننا نرى الناس يتسللون منه لواذا، وإذا رجعنا إلى العقل الذي هدانا الله تعالى إليه في هذه الآية وأمثالها، رجي لنا أن نحيي ديننا فيكون دين العقل هو مرجع الأمم أجمعين."[1]

فَأطلق الإسلام بِهَذَا سُلْطَان الْعقل من كل مَا كَانَ قَيده وخلصه من كل تَقْلِيد كَانَ استعبده ورده إِلَى مَمْلَكَته يقْضى فِيهَا بِحكمِهِ وحكمته مَعَ الخضوع مَعَ ذَلِك لله وَحده وَالْوُقُوف عِنْد شَرِيعَته وَلَا حد للْعَمَل فى منْطقَة حُدُودهَا وَلَا نِهَايَة للنَّظَر يَمْتَد تَحت بنودها.[2]

هذا وينتقد الشيخ محمد عبده المقلدين بل ويعتبر التقليد مرض أصيب به بعض أهل العلم ،فيقول:" والتياث قلوب الجمهور من الخاصة بمرض التقليد فهم يعتقدون الأمر ثم يطلبون الدليل عليه ولا يريدونه إلا موافقا لما يعتقدون ،فإن جاءهم بما يخالف ما اعتقدوا قيدوه ولجوا فى مقاومته وإن أدى ذلك إلى جحد العقل برمته فأكثرهم يعتقد فيستدل وقلما نجد بينهم من يستدل ليعتقد ."[3]

---

(١)تفسير المنار :محمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م ج٢ ص٣٥٩

(٢)ينظر:رسالة التوحيد :محمد عبده ص٨٣

(٣)رسالة التوحيد:محمد عبده ص٣٤

أما الأمر الثاني: فهو إصلاح اللغة العربية[١]،يقول تشارلز آدمس عند حديثه عن النزعة الدينية للشيخ محمد عبده:"ومما يوضح نزعته العامة بعض التوضيح إلى جانب ما بسطناه من آرائه ما كان يحس به من الألم لما فشا بين المسلمين من الجهل باللغة العربية ،ذلك الجهل الذي صدهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم،**ولهذا جعل الشيخ عبده من أغراضه الأولى إحياء اللغة العربية باعتبارها وسيلة لاصلاح الدين.**"[٢]

***ما يؤخذ على دعوة الشيخ محمد عبده:**

لقيت مدرسة الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني نقدًا هادمًا يهدم كيان هذه المدرسة وتوجهاتها،لذا فقد كان من الضروري أن نسوق بعض النصوص التي وردت عن بعض المعاصرين لمحمد عبده والأفغاني والذين نبهوا إلى فساد فكرهما وانحراف مذهبهما،ومن هؤلاء الشيخ محمد الجنبيهي المتوفي سنة ١٣٤٦ه.[٣]فله كتابات جمه تصرخ في وجه الأفغاني وتلاميذه بالفساد والضلال وذلك في كتابه الشهير :"بلايا بوزا"،وكذلك شيخ الإسلام

---

(١)تاريخ الأستاذ الإمام :رشيد رضا ج١ ص١١، ١٢.

(٢)الإسلام والتجديد في مصر ص١١٠

(٣) نسبة إلى جنبيه وهي قرية في إقليم البحيرة والذي ينتمي محمد عبده إلى قرية أخرى فيه،وهو من علماء الازهر المشهورين بالصلاح والتقوى،وهو والد عبد العزيز باشا رئيس محكمة النقد ووزير الأوقاف،وكان الشيخ الشنقيطي متزوجًا اخته،امتد به العمر إلى أكثر من عشرين عاما بعد وفاة محمد عبده سنة ١٩٠٤م وله عدة مؤلفات من بينها "الرزايا العصرية"و"بلايا بوزا"[ينظر:الأعلام :الزركلي ج٤ ص٢٨]

مصطفى أفندي صبري في كتابه الكبير:"موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"،فيقول:"أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين،فقرب كثيرًا من الأزهريين إلى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني."[١]

كما استفاض الشيخ يوسف النبهاني[٢]،وهو من علماء الأزهر الذين عاصروا السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده تلميذه ،وتناولهم بالذم في قصيدته التي أصلق عليها اسم"**الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء**"[٣]،وقد نقل ذلك عنه الدكتور محمد محمد حسين في كتابه "**الإسلام والحضارة**"،وقد حكى أن الشيخ يوسف النبهاني اجتمع بالأفغاني ومحمد عبده حين كان مجاورًا في (الأزهر)،ثم عاد فالتقى الشيخ محمد عبده في بيروت أثناء إقامته بها منفيا بعد فشل الثورة العرابية ومحاكمة زعمائها،حين كان النبهاني رئيسًا لمحكمة

---

(١)موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ج١ ص١٤٤

(٢)النَّبْهَاني(١٢٦٥ – ١٣٥٠ هـ = ١٨٤٩ – ١٩٣٢ م)يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني: شاعر، أديب، من رجال القضاء. نسبته إلى " بني نبهان " من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية " إجْزِم " – بصيغة الأمر – التابعة لحيفا في شمالي فلسطين. وبها ولد ونشأ، وتعلم بالأزهر بمصر (سنة ١٢٨٣ – ١٢٨٩ م) وذهب إلى الآستانة ،فعمل في تحرير جريدة " الجوائب " وتصحيح ما يُطبع في مطبعتها، ورجع إلى بلاد الشام (١٢٩٦) فتنقل في أعمال القضاء إلى أن كان رئيسا لمحكمة الحقوق ببيروت (١٣٠٥) وأقام زيادة على عشرين سنة. وسافر إلى " المدينة " مجاورا، ونشبت الحرب العامة (الأولى) فعاد إلى قريته وتوفي بها. [ينظر:الأعلام :الزركلي ج٨ ص٢١٨]

(٣)وهي قصيدة طويلة تبلغ ٥٥٣ بيتا خص الشيخ يوسف النبهاني كل فرد من أفراد هذه المدرسة ببعض أبياتها.

الحقوق بها ،فيقول النبهاني في مقدمة قصيدته الرائية الصغرى:"لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا ذاكرته بشأن شيخه الشيخ محمد عبده فقلت له في شأنه إنكم تتخذونه قدوة في دينكم وتدعون الناس إلى ذلك وهذا غير صواب فإنه لم يكن محافظًا على الفرائض الدينية ،فلا يصح أن يكون قدوة في الدين ،فمن المعلوم المسلم أنه كان يترك كثيرًا من الصلوات بلا عذر وأنا نفسي رافقته من وقت الضحى إلى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا في جبل لبنان ،فلم يصل الظهر ولا العصر،ولم يكن له عذر بل كان بكمال صحته،ورآني صليت الظهر والعصر ولم يصلهما،فسلم الشيخ رشيد رضا تركه لبعض الصلوات ثم قال لعل مذهبه يجوز الجمع في الحضر فتعجبت من هذا الجواب ؛لأن الجمع إنما يجوز في السفر والمطر والمرض عند بعض الأئمة بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ،كما صح عنه ﷺ ذلك ،ولم يقل أحد إن الظهر والعصر يجتمعان حتى نحتمل صحة هذا الجواب ولو جدلاً.[1]

على أية حال فإن أسباب الطعن في دعوة الشيخ محمد عبده ومدرسته تتمثل في الآتي:

<u>أولاً</u>:دعوى الاجتهاد المطلق ،فقد كان سبيل محمد عبده للقيام بدور الإصلاح والتجديد؛ هو الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد،وهذه الدعوة قد استغلت أوسع

(١)الإسلام والحضارة الغربية :محمد محمد حسين ص٨٩

استغلال في تطوير الإسلام والاقتراب به من قيم الحضارة الغربيـــة،وأن هـــذا التقريب المقصود بين الإسلام وبين الفكر الغربي والحضارة الغربية قد بلغ قمة التطرف،حين دخل محمد عبده في مفاوضات مع القسيس الإنجليـــزي إســـحاق تيلور؛للتقريب بين الإسلام والنصرانية ،وهي المفاوضات التي أشار إليها رشيد رضا.(١)

وقد ناقش الشيخ يوسف النبهاني دعوى الاجتهاد المطلق التي بثتهـــا هـــذه الجماعة مع عدم الكفاية من الناحية العلمية،وفساد الاستعداد من الناحية الروحية ،وسوء السيرة من الناحية الخلقية والسلوكية،وذلك في قصيدته الرائية الصغرى ،فقال فيها :

وَكَم مِن قُرون قد تَوالت ولم يُجِل بِدَعوى اجتهادٍ مطلق عالمُ فكرًا

فَكَيف ادّعاه الجاهلون بِعَصرنا فَما أقبح الدَعوى وما أَفظع الأمرا(٢)

كما قال الدكتورمحمد حسين فيما نقله من كلام النبهاني :"واعلم أن هؤلاء المفتونين يدعون الاجتهاد المطلق واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة،ويرفضون المذاهب الأربعة مع جهلهم المركب وفسقهم المحقق ،وتهتكهم في أنواع المعاصي من الصغائر والكبائر وسائر الآثام وتركهم ما

(١)تاريخ الأستاذ الإمام ج٢ ص٥٦٨،ينظر:الإسلام والحضارة الغربية :محمد محمد حسين ص٧٨

(٢)الرائية الصغرى في ذم البدعة:للإمام العارف بالله يوسف بن إسماعيل النبهاني ص٨

عدا الشهادتين من أركان الإسلام ،فلا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام،ومع كونهم كالأنعام بل أضل من الأنعام يدعي كل واحد منهم أنه من أئمة الإسلام ،ويدعو الناس إلى الإجتهاد حتى العوام." [١]

والعلماء على خلاف في وجود المجتهد المطلق في زماننا هذا ،وقد ذهب الإمام الغزالي والرازي إلى أن شروط الاجتهاد المطلق لم تتحقق في شخص من علماء القرن الرابع فما بعده وأن من ادعى بلوغها منهم لا تسلم له دعواه ضرورة أن بلوغها لا يثبت بمجرد الدعوى . [٢]

ثانيًا: ذم التقليد وتقديم العقل على النقل في الاستدلال.

ودعوى انتفاء التقليد مطلقاً من كل وجه لا تستقيم إلا أن يكونوا قد أحاطوا بعلوم الاجتهاد المطلق،وذلك لا يلائم المعلوم من أحوالهم أو أحوال أكثرهم، بالإضافة إلى أن ذم التقليد قد أوقع بهم في محظورات عدة، وخاصة القول بتحكيم العقل في مسائل العقيدة

ومن ذلك على سبيل المثال[٣]:

١-تأويل خلق عيسى عليه السلام:

---

(١)الإسلام والحضارة الغربية :محمد محمد حسين ص٨٩

(٢)ينظر:الوسيط في المذهب:أبو حامد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)ج٧ ص٢٩١،البحر المحيط في أصول الفقه:الزركشي ج٨ ص٢٤٠، الفروق : أبو العباس شهاب الدين الشهير بالقرافي ج٢ ص١٢١

(٣)ينظر:الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم :غازي التوبة دار القلم بيروت-لبنان الطبعة الثانية ١٩٧٧م ص٤٦-٥٤.

أول الشيخ محمد عبده خلق سيدنا عيسى عليه السلام بأحد وجهين:**أولهما** :اعتقاد قوي استولى على قلب مريم عليها السلام، فأحدث الحمل بها،وكثيرًا ما يكون الاعتقاد بالمرض مثلا مسببًا له.**ثانيهما**:روح لطيف أرسله الله إلي مريم فأحدث التلقيح بها،وغالبًا ما تؤثر الأرواح اللطيفة في الأجسام الكثيفة،وقد وضح هذا عند تفسيره لقوله تعالى﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥]، فتجده يقول:" ويمكن تقريب هذه الآية الإلهية من السنن المعروفة في نظام الكائنات **بوجهين:**

(الوجه الأول):أن الاعتقاد القوي الذي يستولي على القلب ويستحوذ على المجموع العصبي يحدث في عالم المادة من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد، فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض، فولد له اعتقاده تلك الجراثيم الحية وصار مريضا، وكم من امرئ سقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقدًا أنه سم ناقع فمات مسمومًا به، والحوادث في هذا الباب كثيرة أثبتتها التجارب، وإذا اعتبرنا بها في أمر ولادة المسيح نقول: إن مريم لما بشرت بأن الله – تعالى – سيهب لها ولدا بمحض قدرته، وهي على ما هي عليه من صحة الإيمان وقوة اليقين، انفعل

مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالا فعل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح الذي ورد في سورة أخرى متمما لهذا التأثير،(الوجه الثاني):وهو أقرب إلى الحق – وإن كان أخفى وأدق – وبيانه يتوقف على مقدمة وجيزة في تأثير الأرواح في الأشباح، وهي أن المخلوقات قسمان: أجسام كثيفة وأرواح لطيفة، وأن اللطيف هو الذي يحدث في الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد الذي يكون من النمو أو يكون النمو منه، فلولا الهواء لما عاشت هذه الأحياء، والهواء روح ولذلك كان من أسمائه إذا تحرك الريح، وأصلها " روح " بكسر الراء، ولأجل الكسر قلبت الواو ياء لتناسبه، والماء الذي منه كل شيء حي مركب من روحين لطيفين، وهو يكاد يكون في حال التركيب وسطا بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب إلى الثاني، والكهربائية من الأرواح وناهيك بفعلها في الأشباح، فهذه الموجودات اللطيفة التي سميناها أرواحا هي التي تحدث معظم التغير الذي نشاهده في الكون، حتى إننا قد رأينا في هذا العصر من أسرارها ما لم يكن يخطر على بال أحد من قدماء فلاسفتنا، ويعتقد علماؤنا اليوم أن ما سيظهر منها في المستقبل أجل وأعظم. فإذا كان الأمر كذلك في الأرواح التي لا دليل عندنا على أنها تدرك وتريد، فلم لا يجوز أن يكون تأثير

الأرواح العاقلة المريدة أعظم! ! إذا تمهد هذا فنقول: إن الله المسخر للأرواح المنبثة في الكائنات قد أرسل روحا من عنده إلى مريم فتمثل لها بشرا ونفخ فيها، فأحدثت نفخته التلقيح في رحمها، فحملت بعيسى – عليه السلام –، وهل حملت إليها تلك النفخة مادة أم لا؟ الله أعلم."[1]

وما ذكره محمد عبده ما هو إلا أثر عقلنت ما لا يستطيع العقل الوصول إليه من معجزات ،فأدى به إلى إنكار حقيقتها.

٢–تأويل الجن بالميكروب:

فقد أول الشيخ محمد عبده الجن بالميكروبات،وذلك في ضوء تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]،فتجده يقول:" وقد قلنا في (المنار)غير مرة:إنه يصح أن يقال: إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة، وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض. قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن، على أننا

(١) تفسير المنار ج٣ ص٣٥٤

نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء أو إضافة شيء إليه مما لا دليل في العلم عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الأحادية، فنحمد الله – تعالى – على أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم."[1]

ويقصد الشيخ محمد عبده بالرواية الأحادية ما روي عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ ". فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ: " وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ ".[2]

٣- تأويل الإحياء في قوله تعالى﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾بالمعنى المعنوي.

فعند تفسير الشيخ محمد عبده لقوله تعالى﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣]ذهب إلى أن المراد بالإحياء في الآية هو الإحياء المعنوي على الرغم من إرادة المعنى المادي ؛وهو حقيقة الضرب وحقيقة الإحياء،فيقول:" وأما قوله: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ فهو بيان لإخراج ما يكتمون،ويروون في هذا الضرب روايات كثيرة، قيل: إن المراد اضربوا المقتول بلسانها، وقيل: بفخذها وقيل: بذنبها،

---

(١)تفسير المنار ج٣ ص٨١

(٢)ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم(١٩٥٢٨)حديث أبو موسى الأشعري ج٣٢ ص٢٩٣ ،الحاكم في المستدرك على الصحيحين ،برقم(١٥٨)،وقال :" هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"ج١ ص١١٤

وقالوا: إنهم ضربوه فعادت إليه الحياة وقال: قتلني أخي أو ابن أخي فلان إلـــى آخر ما قالوه، والآية ليست نصا في مجمله فكيف بتفصيله؟ والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتـــل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله؛ ليعرف الجاني من غيره، فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة بريء من الدم، ومن لم يفعـــل ثبتـــت عليـــه الجناية،ومعنى إحياء الموتى- على هذا -حفظ الدماء التي كانت عرضـــة لأن تسفك، بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يحييها بمثل هذه الأحكام، وهـــذا الإحياء على حد قولـــه تعـــالى﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]وقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [البقـــرة: ١٧٩] فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين ." (١)

٤- نفي حقيقة السحر :

فمن المحظورات التي وقع فيها الشيخ محمد عبده حيال تحكيم العقل في مسائل العقيدة هو القول بنفي السحر؛بل وينكر كونه جزءًا من العقيدة ،فعند تفسير قوله تعالى﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ

(١)تفسير المنار ج١ ص٢٩١

هَـٰرُوتَ وَمَرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]ومن البديهي أن ذكر القصة في القرآن لا يقتضي أن يكون كل ما يحكى فيها عن الناس صحيحا، فذكر السحر في هذه الآيات لا يستلزم إثبات ما يعتقد الناس منه، كما أن نسبة الكفر إلى سليمان التي علمت من النفي لا تستلزم أن تكون صحيحة؛ لأنها ذكرت في القرآن ولو لم يكن ذكرها في سياق النفي، بينا غير مرة أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل، ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضار، لأجل الموعظة والاعتبار، فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية، ولا بد أن يأتي في العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح. "[1]

(١)تفسير المنار ج١ ص٣٢٩

ثم يذكر مجموع الآيات التي ذكر فيها السحر في القرآن ويعلق عليها قائلا :" ومجموع هذه النصوص يدل على أن السحر إما حيلة وشعوذة، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرون فيسمون العمل بها سحرا لخفاء سببه ولطف مأخذه، ويمكن أن يعد منه تأثير النفس الإنسانية في نفس أخرى لمثل هذه العلة، وقد قال المؤرخون: إن سحرة فرعون قد استعانوا بالزئبق على إظهار الحبال والعصي بصور الحيات والثعابين وتخييل أنها تسعى، وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان، وأنهم يحضرون إذا دعوا بها ويكونون مسخرين للداعي، ولمثل هذا الكلام تأثير في إثارة الوهم عرف بالتجربة، وسببه اعتقاد الواهم أن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية التأثير وليس فيه،وإنما تلك العقيدة الفاسدة تفعل في النفس الواهمة ما يغني منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته، وهذا هو السبب في اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب. "[1]

(١)تفسير المنار ج١ ص٣٢٩

وقد أخطأ الشيخ محمد عبده في هذا الاعتقاد ،فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن للسحر حقيقة،وقد ثبت ذلك في الكثير من النصوص ومن ذلك:

أ- قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

وجه الاستدلال أن: الآية تدل على أن للسحر حقيقة من وجوه **الأول:** أن الله ﷻ قد أخبر فيها عن السحر وأنه مما يعلم ويتعلم وأن متعلمه يكفر بذلك، وهذه الصفات لا تكون إلا لما له حقيقة، مما يدل على أن له حقيقة.

الثاني: أن الله تعالى قد أخبر في هذه الآية بأن للسحر آثاراً محسوسة كالتفريق بين المرء وزوجه والأثر دليل على وجود المؤثر وأن له حقيقة.

الثالث: كما أخبر الله تعالى في هذه الآية بأن للسحر ضرراً لا يتحقق إلا بإذنه، والاستثناء دليل على حصول الآثار بسببه والضرر أو الأثر لا يكون إلا مماله حقيقة.(١)

ب-قوله تعالى﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق: ٤] هن الساحرات اللاتي يعقدن السحر وينفثن فيه،ولو لم يكن للسحر حقيقة بل ومؤثرة لما أمر الله نبينا أن يستعيذ منه.(٢)

وقد استفاضت في ذلك السنة ؛ومن النصوص الصحيحة في ذلك :

أ- اتفاق المفسرين على أن سبب نزول قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ما كان من سِحْرِ لَبِيَدِ بْنِ الْأَعْصَمِ، وهو مما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺرَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ

---

(١)مفاتيح الغيب :الرازي ج٣ ص٦٢٩،الجامع لأحكام القرآن الكريم : ج٢ ص٤٦

(٢)ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن :الثعلبي ج١٠ ص٣٤٠،الهداية إلى بلوغ النهاية:مكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٥١٠

لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي، لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ " فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ، كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: "قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا" فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ."(١)

يقول الإمام القرطبي:"وفيه:أن النبي ﷺ قال لما حل السحر:(إن الله شفاني)،والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل على أن له حقا وحقيقة،فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه على هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم(٥٧٦٣)كتاب:"الطب"،باب:"السحر"ج٧ ص١٣٦، (المطبوب): المسحور،(المشط): ما يسرح به الشعر، (المشاطة): هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند تسريحه، (وعاء طلع النخل): هو الغشاء الذي يكون عليه ويطلق على الذكر والأنثى، ولذا قيده في الحديث بالذكر، وهي بئر في المدينة في بستان بني رزيق.، الماء الذي ينقع فيه الحنا أي أحمر ، أي كأن نخلها الذي يشرب من مائها – وقد التوى سعفه – رؤس الشياطين أي في قبحه.

المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق، ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه، ولم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله."[1]

ب- جعل السحر من الكبائر ،فعن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر،وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف،وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات."[2]،فقد قرن المولى ﷻ السحر بالشرك بالله.

وإن قياس مثل هذه الأمور الغير مرئية كالسحر بمقياس العقل ،ثم نفيها لعدم قبوله لها يعد إنكار للمعلوم من الدين بالضرورة ،فإن الإنسان يؤمن بالكثير من الأمور بإخبار الناس؛على الرغم من عدم رؤيتها ،فليس للإنسان في إدراكه أن يرى كل شيء وليس له أن ينفي ما لا يراه.

فيجب على الإنسان إن أخبره الله ﷻ بشيء أن يسلم له وإن لم يدركه عقله.

٥- تأويل النفاثات في العقد:

أول الشيخ محمد عبده المراد بقوله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[سورة الفلق:٤]،فتجده يقول:"والمراد بالنفاثات في العقد النمامون المقطعون

---

(١)الجامع لأحكام القرآن :القرطبي ج٢ ص٤٦

(٢)أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم(٢٧٦٦) ج٤ ص١٠.

لراوابط الألفة المحرقون لها بما يلقون عليها من ضرائم نمائمهم ،وإنما جاءت العبارة بالنفاثات في العقد لأن الله جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوزين الذين أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين المرء وزرجه مثلاً فيما يوهمون به العامة عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوها ليكون ذلك حلاً للعقدة التي بين الزوجين،والنميمة تشبه أن يكون ضرباً من السحر لأنها تحول بين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة خفية كاذبة والنميمة تضلل وجدان الصديقين كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته.(١)

٦- تأويل الطير الأبابيل والحجارة السجيل:

أول الشيخ محمد عبده الطير الأبابيل بأنه من جنس البعوض أو الذباب،وحجارة السجين بأنها طين يابس مسموم هي جراثيم مرض الجدري أو الحصبة .

قال محمد عبده في تفسير سورة الفيل من جزء عم:" وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري وتلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ،فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض ،وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس

(١)تفسير جزء عم:محمد عبده ص١٣٨

الذي تحمله الرياح ،فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، إذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح ،التي تنتهي بفساد الجسم وتساقط لحمه ،وأن كثيرًا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير –الذي يسمونه الآن بالميكروب –لا يخرج عنها ،وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها ،فهذا الطاغية أراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدري أو الحصبة ،فأهلكته وأهلكت قومه قبل أن يدخل مكة ."[1]،

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالطير حقيقة الطير،والمراد بالحجارة حقيقتها،وقد تعددت أقوال المفسرين في وصفهما . [2]

***مؤلفات الشيخ محمد عبده:**

له (تفسير القرآن الكريم) لم يتمه، فقد :" ابتدأ الأستاذ الإمام بأول القرآن فى غرة المحرم سنة ١٣١٧ وانتهى عند تفسير قوله تعالى فى الآية [١٢٦] من سورة النساء: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ﴾

(١) تفسير جزء عم:محمد عبده ص١٣٨

(٢) ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن:الثعلبي ج١٠ ص٢٩٧،الهداية إلى بلوغ النهاية :مكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٤٤٢،تفسير السمعاني:أبو المظفر السمعاني ج٦ ص٢٨٥.

وذلك فى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ، إذ توفى – رحمه الله – لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة نفسها."[١]

وقد كان هذا التفسير عبارة عن دروس يلقيها على تلاميذه دون أن يدونها، فيقول محمد حسين الذهبى في هذا:"وإذا كان الأستاذ الإمام قد ألقى هذه الدروس فى التفسير على طلابه ولم يدون شيئا، فإنا لا نرى حرجا من جعلها أثرا من آثاره فى التفسير؛وذلك لأن تلميذه السيد محمد رشيد رضا كان يكتب فى أثناء إلقاء هذه الدروس مذكرات يودعها ما يراه أهم أقوال الأستاذ الإمام، ثم يحفظ ما كتب ليمده بما يذكره من أقواله وقت الفراغ، ثم قام بعد ذلك بنشر ما كتب فى مجلته "المنار" وكان – كما يقول هو فى مقدمة تفسيره – يطلع الأستاذ الإمام على ما أعده للطبع، كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه فى المطبعة وقبل طبعه، فكان ربما ينقح فيه بزيادة قليلة، أو حذف كلمة أو كلمات. [٢] ،كما يقول الشيخ رشيد رضا:"ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع، بل كان راضيا بالمكتوب، معجبا به".[٣]

وله أيضا(رسالة التوحيد) و(الرد على هانوتو)و(رسالة الواردات) صغيرة، في الفلسفة والتصوف، و(حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية) و(شرح

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد السيد حسين الذهبي ج٢ ص٤٠٦.

(٢)التفسير والمفسرون : محمد السيد حسين الذهبي ج٢ ص٤٠٦،ينظر تفسير المنار ج١ ص١٥

(٣) تفسير المنار ج١ ص١٥ ،ينظر :التفسير والمفسرون :الذهبي ج٢ ص٤٠٦.

نهج البلاغة) و(شرح مقامات البديع الهمذاني) و (الإسلام والرد على منتقديه) من مقالاته، و(الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) كالسابق، و (الثورة العرابية) لم يتمه،وللسيد محمد رشيد رضا كتاب جمع فيه آثاره وأخباره وما قيل في رثائه ،وهو(تاريخ الأستاذ الإمام) في ثلاثة أجزاء كبيرة. [١]

المبحث الثالث

الشيخ محمد رشيد رضا

اسمه ونسبه ومولده :

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني،البغدادي الأصل،الحسيني النسب."[٢]

ولد يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الأولي عام ألف ومائتين واثنين وثمانين للهجرة الموافق الثامن عشر من شهر تشرين الأول سنة ألف

---

(١) الأعلام :الزركلى ج٦ ص٢٥٣-٢٥٤.

(٢) الأعلام :الزركلى ج٦ ص١٢٦،مقدمة تحقيق تفسير المنار ج١ ص٤

وثمانمائة وخمسة وستين ميلادية في قرية قلمون [١]الواقعة على شاطئ البحر على بعد زهاء خمسة كيلومترات إلي الجنوب من طرابلس الشام ،ولد بهذه القرية ونشأ بها."[٢]

***نشأته العلمية :**

تعلم في مدرسة قلمون قواعد الحساب والخط والقراءة بما فيها قراءة القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة الرشدية بطرابلس الشام، وهي مدرسة ابتدائية تابعة للدولة العثمانية ،وكان التعليم فيها باللغة التركية فمكث بها سنة ثم تركها والتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية ،وهي مدرسة أنشأها الشيخ حسين الجسر الأزهري – رحمه الله– ،وكان التعليم في هذه المدرسة يجري باللغة العربية مضافا إليها اللغتان التركية والفرنسية وفي هذه المدرسة توسع في دراسة العلوم العربية والشرعية ودرس المنطق والرياضة والفلسفة ،غير أن هذه المدرسة أغلقتها السلطات العثمانية، فانتقل إلي المدرسة الدينية بطرابلس وبقي فيها حتى تحصل على الشهادة العالية. "[٣]

---

(١) قلمون بفتح أوله، وثانيه، مثل كلمون: موضع.والقلمون: موضع من قرية الأفاعى بالشام.[مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، ج٣ ص١١١٨]

(٢) مشاهير علماء نجد عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص٢٨٨.

(٣) ينظر :مشاهير علماء نجد :عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص٢٨٨.

***شيوخه :**

واصل رشيد رضا تعليمه ودراسته الحرة على أستاذه الشيخ حسين الجسر،الذي أجازه في التدريس وكان له أثر عظيم في تنشئته وتوجيهه الوجهة العلمية النافعة ،كما أخذ علم الحديث والفقه الشافعي عن الشيخ محمود نشابة ،إلي جانب استفادته أدبيًا ودينيًا من الشيخ عبد الغني الرافعي،والشيخ محمد القاوقي الكبير،وكان له أثناء الطلب مطالعة في كتاب الأغاني للأصفهانى وكتاب نهج البلاغة، وكتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي ،وقد أثر فيه حيث جعله يميل إلي الزهد والتقشف ،وكان له من ذكائه الفطري ونور البصيرة ما جعله يعرف الضار من كتاب الإحياء فيدع الأخذ به ،كعقيدة الجبرية والأشعرية والشطحات الصوفية وبعض التأويلات المبتدعة ومع ذلك بقي عنده شيء من الميول إلي العزلة والتقشف ،ولذا انتدب إماما بمسجد القرية الذي بناه جده فصار يؤم الناس فيه ويعظهم."[1]

***تأثر رشيد رضا بالأفغانى ومحمد عبده.**

القارئ لتاريخ الشيخ محمد رشيد رضا يستنتج أنه قد مر بثلاثة مراحل كان لكل مرحلة منها تأثير في حياته الفكرية.

---

(١)مشاهير علماء نجد :عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص٢٨٨-٢٨٩

المرحلة الأولى:وهي مرحلة الإعداد والتكوين ،فقد تربى الشيخ على كتب الغزالى وما فيها من زهد وورع وتصوف كان قد شكل له طريق مستقبله.

المرحلة الثانية:مرحلة الإعجاب والتحول،فقد بدا له ما غير وجهته حيث عثر بمكتبة والده الزاخرة بالكتب على بعض أعداد مجلة العروة الوثقى فقرأها وأعجب بها وكان يحفظها ،وكاتب مؤسسها الأفغاني مبديا رغبته في لقائه فعاجلت المنية الأفغاني قبل أن يراه السيد رشيد رضا ،فالتقى بالشيخ محمد عبده مرتين في طرابلس في زيارتين قصيرتين فأعجب به ورغب في الاتصال به، وعزم على الرحيل إليه بمصر سنة ١٣١٤هـ الموافق سنة ١٨٩٦هـ وهي السنة التي توفي فيها الأفغاني، وكان قد نال شهادة التدريس العالمية من شيوخه بطرابلس ،وكان والده يأبى عليه السفر فلم يزل به حتى أرضاه وسمح له فسافر إلى مصر بطريق البحر من بيروت فوصل الإسكندرية مساء الجمعة الثالث من كانون الثاني سنة ١٨٩٨م الموافق ١٣١٥هـ ووصل القاهرة يوم السبت في الثامن عشر من شهر سنة ١٨٩٨م الموافق ١٣١٥هـ ،وفي ضحوة اليوم التالي ذهب إلي دار الشيخ محمد عبده في الناصرية لزيارته فقابله وصارحه القول في الغرض من هجرته إلي مصر وأخذ يتردد على داره ويقابله الشيخ محمد عبده كل مرة مقابلة ود وإجلال، فتوثقت أواصر الأخوة

والصداقة بينهما فاستشاره في اختياره اسم المجلة التي يزمع إصدارها ،وقدم له عدة أسماء فوقع اختيار الشيخ محمد عبده على اسم "المنار". [1]

قال رشيد رضا عن الأفغانى ومحمد عبده :"إن مصر لن تنسى ذكر الحكيمين المجددين والإمامين المصلحين الأستاذ جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده ."[2]

المرحلة الثالثة:مرحلة الرجوع والاعتدال،وأقصد بذلك الرجوع إلى مذهب السلف الصالح ،فيعترف رشيد رضا أنه قد حدث تغير جوهرى في مذهبه العقدى ،فبعد أن كان جل اطلاعه وتعلمه على كتب الأشعرية ومصادرهم تحول عن أشعريته إلى مذهب السلف ،فيقول :"كنا عند الابتداء بالاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة ،فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول ما فهموها حق فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الأشاعرة هي وحدها منبع الدين وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم؛ فإذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتورد الناس موردهم الأحلى، وإذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان،ويحس بسريان برد الإيقان؛ وإذا الفرق بينها وبين كتب الأشاعرة كالفرق بين من

---

(١) ينظر: مشاهير علماء نجد :عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) مقدمة تاريخ الأستاذ الإمام :محمد رشيد رضا ج١ ص١.

يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لجي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتتجاذبه تيارات المباحث النظرية." [1]

ثم يذم الاعتماد على كتب الأشاعرة ،فيقول: " وكتب الأشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتها الآن؛ لأن معظمها من الفلسفة اليونانية، وقد نسخت، وفي مناظرة فرقة المعتزلة، وقد انقرضت. نعم، لا أقول: إن كل ما كتب الحنابلة من المسائل والمباحث صواب، وإنها معصومة من الخطأ؛ فإليها المرجع والمآب، فإن العصمة لكتاب الله وحده ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢] [2]

ولقد أظهر رشيد رضا مناصرته لمذهب السلف من خلال تفسيره في مواضع عدة لعل من أهمها إجلاله لبعض رموز السلفية مثل الإمام ابن تيمية حيث يقول :"لم يجئ بعد الإمام ابن حزم من يساميه أو يساويه في سعة علمه وقوة حجته وطول باعه وحفظه للسنة وقدرته على الاستنباط إلا شيخ الإسلام مجدد القرن السابع أحمد تقي الدين بن تيمية، وهو قد استفاد من كتب ابن حزم واستدرك عليها وحرر ما كان من ضعف فيها."[3]

---

(١) مجلة المنار ج٨ ص٦١٤.

(٢) المرجع السابق ٦١٤/٨.

(٣) تفسير المنار ج٧ ص١٢٨.

كما أظهر مناصرته أيضا للإمام ابن القيم ،فيقول:"وكان الإمام أبو عبد الله محمد بن القيم وارث علم أستاذه ابن تيمية وموضحه، وكان أقرب من أستاذه إلى اللين والرفق بالمبطلين والمخطئين، فلذلك كانت تصانيفه أقرب إلى القبول، ولم يلق من المقاومة والاضطهاد ما لقي أستاذه بتعصب مقلدة المتفقهين، وجهل الحكام الظالمين."(١)

كما ينبه أيضا على دعوة بعض السلفية المجددين وردهم للبدع والخرافات ،ومن هؤلاء السلف الإمام محمد بن عبد الوهاب ،فيقول "وقد كان من حسنات تأثير الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد للإسلام في نجد إبطال عبادة الجن وغير الجن منها، ولم يبق فيها إلا أهل تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله، ولكن علماء الأزهر هنا لا يعنون أقل عناية بمقاومة هذه البدع والخرافات وأمثالها، ولا المعاصي الفاشية في هذه البلاد."(٢)

ثم يؤكد على سلفيته هذه ،فيقول "(وأقول) أنا مؤلف هذا التفسير: إنني ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم.عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله – تعالى، وإنما أذكر من كلام شيخنا، ومن كلام غيره، ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختباري الناس أن ما انتشر في الأمة من نظريات

---

(١) تفسير المنار ج٧ ص١٢٨

(٢) تفسير المنار ج٨ ص٣٤١

الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين، جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه من الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه، أو طول ممارسة الرد عليهم، ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم – رحمهما الله – تعالى –، وإنني أقول عن نفسي: إنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف تفصيلا إلا بممارسة هذه الكتب."(١)

***أهداف الشيخ محمد رشيد رضا في لتحقيق الإصلاح الديني :**

للشيخ رشيد رضا أهداف كثيرة لتحقيق الإصلاح الديني يعد من أهمها:

أولا:بيان أن الإسلام يتفق والعقل والعلم ومصالح البشر، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام؛وذلك بإقامة الحجة على أن الإسلام،باعتباره نظاماً دينيا لا يتنافر مع الظروف الحاضرة ،وأن الشريعة أداة عملية صالحة للحكم. (٢)

ثانياً: ذم التقليد والمقلدين ولقد أفرد رشيد رضا مساحة كبيرة من تفسيره كان يردد فيها ذلك دائمًا ؛فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ (٣)يقول: " لولا أن حيل بين المقلدين

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص٢٥٧

(٢)الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص١٧٣

(٣) سورة البقرة الآية ١٦٦

وهداية القرآن لكان لهم في هذه الآية أشد زلزال لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم في الدين، سواء كانوا من الأحياء أم الميتين، وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات أم في أحكام الحلال والحرام ؛ إذ كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لأحد فيه رأي ولا قول إلا ما كان من الأحكام متعلقا بالقضاء وما يتنازع فيه الناس فلأولي الأمر فيه الاجتهاد بِشَرْطِهِ إِقَامَةً للعدل وحفظًا للمصالح العامة والخاصة."(١)

ويكرر رشيد رضا ذم التقليد والمقلدين كثيرًا في تفسيره ويستدل على ذلك ببعض المسائل الفقهية التى قد يؤدى التقليد فيها إلى التجرؤ على النصوص بعدم فهمها وإعمال العقل فيها ،فيقول" ومن رزئ بالتقليد كان محروما من ثمرة العقل وهي الحكمة، محروما من الخير الكثير الذي أوجبه الله لصاحب الحكمة بقوله: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة ١٦٩] ،فيكون كالكرة تتقاذفه وسوسة شياطين الجن وجهالة شياطين الإنس، يتوهم أنه قد يستغني بعقول الناس عن عقله، وبفقه الناس عن فقه القرآن، بدعوى أنه جمع كل ما أوجبه القرآن مع زيادة في البيان، وقد يجد في فقه الناس أن الله لم يوجب عليه غير الزكاة التي لا تجب إلا بعد أن يحول الحول وهو مالك للنصاب، وأنه إذا

---

(١) تفسير المنار ج٢ ص٧٠

هو وهب امرأته ماله قبل انقضاء الحول بيوم أو يومين ثم استوهبها إياه بعد دخول الحول الجديد بيوم أو يومين لم تجب عليه الزكاة، ويمكن على هذا أن يملك ألوفا من الدنانير وتمر عليه السنون والأحوال لا ينفق منها شيئا في سبيل الله ويكون مؤمنا عاملا بفقه الناس، ولكنه إذا عرض نفسه على القرآن وفقه ما أنزل الله فيه من غير تقليد ولا غرور بعظمة شهرة المحتالين المحرفين فإنه يعلم أنه يكون بهذا المنع عدوا لله – تعالى – ولكتابه، محروما من الخير الكثير الذي أتاه الله – تعالى – لأهله."[1]

ثالثًا: تفنيد ما يعزى إلي الإسلام من الخرافات ومقاومة البدع والخرافات التي أضرت بالمسلمين ،وألصقت بالدين ومحاربة العقائد الزائفة وما دخل على العقيدة من بدع في الأولياء ،وما تأتيه طرق المتصوفة من بدع وضلالات ،ثم الحض على التسامح والتآلف بين الفرق المختلفة . [2]

رابعًا:الحث على كثرة إنشاء المدارس ؛لأنها السبيل الوحيد لإزاحة الجهل وإصلاح أعمال الدنيا والدين،وكان ينشر في مجلة المنار لكثير من العلماء والمصلحين وينشر ما كان يقتبسه من دروس شيخه الشيخ محمد عبده ومجالسه بعبارة صحيحة فصيحة يعتز شيخه بعزوها إليه حتى استطاع أن ينشر فضل

---

(١) تفسير المنار ج٣ ص٦٦

(٢)ينظر:الإسلام والتجديد في مصر:تشارلز آدمس ص١٧٣

شيخه ويوجِد له تلاميذا ما كانوا يعرفون شيئا عن الشيخ محمد عبده إلا من مجلة المنار ومطبوعاتها .. [1]

***وسائل الشيخ محمد رشيد رضا في نشر الإصلاح:**

١- مجلة المنار

أنشأ الشيخ مجلة المنار في مدينة القاهرة سنة ١٣١٥هـ الموافق ١٨٩٨م، وصدر العدد الأول منها في الثاني والعشرين من شهر شوال عام ١٣١٥هـ، وكانت أول سنتها غرة ذي القعدة ثم صارت في أول محرم وأصبحت السنة الهجرية هي سنة مجلة المنار الحسابية منذ السنة الخامسة ١٣٢٠هـ واستمر – رحمه الله – في إصدار مجلة المنار وطبع الكتب التجارية بمطبعتها وتأليف الكتب النافعة ،وقد بلغت مجلة المنار قبيل وفاته ٣٤ مجلدا .[2]وكانت مجلة المنار من أهم المنافذ التى نشر من خلالها الشيخ أفكاره في الإصلاح وفي محاربة البدع والخرافات.

٢-معهد الدعوة والإرشاد:

رحل الشيخ رشيد رضا بعد" وفاة شيخه الشيخ محمد عبده بأربع سنوات إلي الآستانة للسعي في إنشاء معهد إسلامي يخرج علماء مبرزين يرسلون إلى

---

(١) ينظر: مشاهير علماء نجد :عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص٢٩٠ -٢٩١.

(٢)مشاهير علماء نجد ص٢٩٠ -٢٩١.

جميع الأقطار دعاة إلى الإسلام، وبعد مقابلات عديدة لأعضاء الحكومة العثمانية وأركان جمعية الاتحاد والترقي وشيخ الإسلام في الآستانة تكللت جهوده بالنجاح وصدرت الإرادة بالموافقة على اقتراحاته، وصدر الأمر العالي بإنشاء جمعية العلم والإرشاد على أن يكون لها دائرة باسمها،ويتربى ويتعلم في هذه المدرسة طائفة من الطلاب على نفقة المدرسة ،فهي تنفق عليهم لا يكلفون طعاما ولا شرابا ولا لباسا . (١)

تأسست دار الدعوة والإرشاد ،وفتحت أبوابها في الثاني عشر من ربيع الأول عام ١٣٣٠هـ الموافق ١٩١٢م ،فعمل الشيخ محمد رشيد رضا وكيلا لمعهد الدعوة والإرشاد ،وتعهد أن يتم تدريس طلابها على التمسك بآداب الإسلام وأخلاقه وعبادته، كما تُعنى بتعليم التفسير والفقه والحديث، فلا خير في علم لا يصحبه خلق وسلوك رفيع، وأن المدرسة لا تشتغل بالسياسة، وسيُرسل الدعاة المتخرجون إلى أشد البلاد حاجة إلى الدعوة الإسلامية. (٢)

وبعد أن مضى على إنشاء دار الدعوة والإرشاد ثلاث سنوات إلا قليلا ، قامت الحرب العالمية الكبرى عام ١٣٣٣هـ الموافق عام ١٩١٤م وأوقفت

---

(١) المرجع ص٢٩٠ -٢٩١.

(٢) السابق مشاهير علماء نجد :عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص٢٩٠ -٢٩١.

المساعدات التي كانت تأتيها من الحكومة المصرية. فاضطرت أن تكتفي بمن فيها من الطلبة ،ثم أغلقت أبوابها نهائيا عام ١٩١٦م."[١]

***وفاته**

استمر الشيخ رشيد رضا في محاربة البدع والنضال عن عقيدة الإسلام إلي أن توفي فجأة عام ١٣٥٤هـ ،١٩٣٥م في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة. [٢]

(١) مشاهير علماء نجد ص٢٩١ -٢٩٢.

(٢) الأعلام :الزركلى ج٦ ص١٢٦،مقدمة محقق تفسير المنار ج١ ص٤.

فهرس المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – الإتقان فى علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة (١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م).

٣- الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي حكم عليها الحافظ ابن كثير في تفسيره لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة الأولى(١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م).

٤- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى

٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى(١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

٥- أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى ٣٧٠هـ) تحقيق: محمد صادق القمحاوي،دار إحياء التراث العربي- بيروت،طبعة(١٤٠٥ هـ).

١-أحكام القرآن لعلي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى ٥٠٤هـ)، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية(١٤٠٥هـ).

٢- أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى المتوفى (٤٦٨هـ)، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، دار الأصلاح – الدمام.

٣-التحرير والتنوير محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، طبعة(١٩٨٤ م).

٤-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منده علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ). طبعة (١٩٩٠ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥-تفسير القرآن العظيم، لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م).

٦-تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، الأولى(١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م).

٧-الناسخ والمنسوخ لأبى القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري (المتوفى: ٤١٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى(١٤٠٤ هـ).

٨-الناسخ والمنوسخ لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، تحقيق د. محمد عبد السلام محمد، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، مكتبة الفلاح - الكويت.